

بلال فضل

# بني بزم

قصص قصيرة .. أحياناً



دار التراث

بلال فضل

بني بجم  
(قصص قصيرة.. أحياناً)

دار ميريت

القاهرة ٢٠٠٥

"إن الذين يأكلون كبدة النصر  
ليس لهم أن يأملوا في النصر"  
أكرم القصاص

"من الطبيعي أن أضل الطريق  
لأن الصواب كان يحيط بي من كل جانب"  
بول نيومان

"سكر.. حلوة الدنيا سكر"  
سعير صبرى

---

إلى إيمى ..

لا أقول لك إلا مقالة أسد الصحراء عمر المختار لجزار

فزان للكونينيل جراتسياتي :

"تعن معكم إلى نهايتكم أو نهايتنا"

بلال



---

لو كنت أعلم أن حديثه سيدني بي إلى هذا البنر السحيق من  
الهم لما كنت استمعت إليه بتاتا، لما نظرت نحوه أصلا، لما  
عيرته على الإطلاق .. ولكن تركته يطفح أكله من سكات،  
ليتركني لما أستطيع احتماله من كآبة..  
ولكن هل تملك الضحية الاختيار خاصة إذا كانت ضحية  
الأقدار؟.

عندما جلست على القهوة لم يكن قد ظهر بعد في الصورة. كان  
لابد أن أجلس قليلا لأتحايل على أحزانى بالاستماع بهذا الهواء  
الخرافي الذى يصبه البحر، وبإدامه النظر في تلك المشاكل  
الأنثوية المعقدة التى يطلقونها علينا فى الشوارع.

لطالما أحببت هذه القهوة، ذات الموضع الاستراتيجى، مجاورة  
لأفخم كافتریات الرمل، لكن الشای فيها بنص جنيه بس، خلفها الله  
للمتکحولین من أمثالى، الكراسى مرصوصة على جانبي رصيف  
الشارع الذى ينكب في البحر، تتنقله هذه العمارات البدعة المبنية

حضوره اقتحم همى.. لفت انتباهى إلى صديقه العجوزين الذين كانوا جالسين إلى جوارى منذ زمن دون أن يجذبنا اهتمامى.. كانوا ينتظرنـه.. تبادلا معه سلام العواجيز.. سلام مليئ بالمودة دون صخب أو مبالغة.. ناديه بـ "الواد جلال" رغم اشتعال رأسه شيئاً.. أحدهما أصلع ضعيف السمع طلعته بدبيعة لم يلخطها قلق الليلى.. والثانى ذو صلعة لامعة زلت وجهه وزادته مهابة ووقاراً ومنحـته درجة وكيل وزارة سيدية.. كان الأخير يتحدث بصوت عال ليمـعـرـفـيـهـماـ الثـالـثـ الـذـىـ كانـ يـسـتـعـيدـ بـعـضـ الـكـلـمـاتـ مـكـتـفـيـاـ بـتـعـلـيقـ ثـابـتـ عـلـىـ كـلـ مـاـ يـسـعـ "ناسـ وـسـخـةـ وـأـيـامـ وـسـخـةـ" .. تـلـاحـقـتـ الـعـبـارـاتـ السـاخـرـةـ مـنـ الأـصـلـعـ:-

- مكتوبه لك يا عم.. كسبت **اليانصيب**، ٢٨٠٠ جنيه مـرة واحدة ومن أول مـرة.. مش كـفـاـيةـ شـهـادـاتـ الـاسـتـثـمـارـ الـىـ كـسـبـتهاـ قبلـ كـدـهـ.. حـظـ مـعـرـصـينـ.

اكتفى "الواد جلال" بابتسامة طناش.. فتح لفـةـ جـراـيدـ غـارـقةـ بالـزيـتـ فـهـفـتـ رـائـحةـ سـمـكـ مـقـلىـ.. عـادـ الأـصـلـعـ للـسـخـرـيـةـ:-

- أيوه يا عم.. زفر لنا القعدة.. جـتـ الـقـرفـ.. إـحـناـ هـنـقـومـ نـصـلـىـ الـعـصـرـ.. وـبـعـدـينـ نـرـجـعـ لـكـ عـشـانـ نـشـوفـ الـىـ وـرـانـاـ.  
سـالـهـ ضـعـيفـ السـمعـ:-

في أيام العز والمزاج، الواجهة المزخرفة والبلكونات المنحوتة الأطراف تبدو لسكان الأحياء العشوائية مثل متحفاً يونانياً صغيراً، حتى الملابس المنورة على حال بعض البلكونات لا تبدو مزعجة للنااظرين، بالعكس تفوح منها رونق الغصيل المسؤول بحب، ليس كغصيل أمي المتعجل، سامحها الله، أفسـتـ هذا البـنـطـلـونـ الأـسـودـ للـحـيـلةـ، تـرـفـضـ كـسـلاـ غـسلـهـ لـوـحـدهـ فـتـملـأـ بالـوـبـيرـ، حتـىـ لـنـيـ لمـ أـعـدـ أـصـفـ مـسـتـقـبـلـ بـأـنـهـ أـسـودـ كـلـالـعـ مـثـلـ لـوـنـ هـذـاـ الـبـنـطـلـونـ الـذـىـ صـارـ "أـسـودـ فـاتـحـ"!.. أـرـهـقـتـيـ رـطـرـطـةـ الـأـفـكـارـ، فـلـسـنـدـتـ قـدـمـيـ إـلـىـ عـجـلـةـ هـذـهـ الـمـرـسـيـدـسـ الـتـىـ سـاقـهـ اللهـ إـلـىـ لـتـرـكـنـ بـجـوـارـىـ، لـمـاـ لـمـ أـحـلمـ يـوـمـاـ بـاـمـتـلـاكـ سـيـارـةـ فـخـمـةـ مـثـلـ هـذـهـ، مـعـ لـنـىـ أـحـلمـ بـمـاـ هـوـ أـصـعـ مـنـالـاـ مـنـهـ، وـلـنـبـىـ تـلـهـىـ أـيـهـاـ الدـمـاغـ الـخـربـ، وـخـلـيـكـ فـيـ الـخـيـبةـ لـتـىـ أـنـتـ فـيـهـ.

آهـ. كـثـيرـ هـذـاـ عـلـىـ الـقـلـبـ، فـقـرـ وـفـلـسـ.. حـاـكـ هـنـاكـ فـقـرـ لـاـ فـلـسـ فـيـهـ.. وـأـمـ تـقـهـرـنـىـ بـطـيـيـتـهـاـ الـتـىـ تـتـقـلـبـ غـباءـ فـيـ أـحـيـانـ كـثـيرـةـ وـمـحـبـوـبـةـ تـعـدـ بـالـإـتـصـالـ وـالـوـصـلـ فـلـاـ تـصـلـ وـلـاـ تـتـصـلـ وـعـائـلـةـ مـحـطـمـةـ بـفـعـلـ تـصـارـيفـ الـزـمـنـ، ثـمـ هـذـاـ الـهـيـجانـ الـذـىـ لـاـ يـبـدوـ أـنـ هـذـاـ سـبـيلـاـ لـصـرـفـهـ، مـنـ يـحـمـلـ عـنـ كـلـ هـذـاـ أـوـحـتـىـ شـيـنـاـ مـنـهـ..

- ركبت قطر كام يا جلال؟  
أجب وهو مستاذ بتقسيم أرغفة العيش إلى انصاص وأرباع  
استعدادا لبدء الأكل:-  
- ركبت من طنطا قطر واحدة إلا ثلت.. حلو قوى ..  
باستثناء من ١٢ ونص، بس ليه رأيك ميعاد حلو  
- كده.. والله !

- أول ما نزلت من القطر رحت مع واحد زميلي في قاسم  
أمين الثانوية إسمه حامد الششتاوي.. طلعنا على بائع السمك اللي  
في محطة مصر.. قلت له ليه رأيك في افتتاحية المنهج دي.. قال  
لي يا خبرك إسود سمك دلوقتي.. وقام ملبيني.. رحت جايب  
الربع ده باتنين جنيه ونص.. وجيست تلات ارغفة ومخل.. أصل  
بصراحة نفسى رايحة للسمك.. وبعدين الكيلو عشرة.. فمت جبست  
ربع وجيست ورقة يا نصيب.  
قال له عالي الصوت وهو يرافق بدء دخوله في الأكل ويتجاهل  
ذكر ورقة اليانصيب:-

- ده احنا جبنا بنثلاثة جنيه فلافل سخنة وكلناها سوا.  
لم ينتظر الانتهاء من المضغ.. مشيحا بيده:-  
- يا أخي بلا فلافل بلا هم.. أنا النهارده مسمنك..

سأله ضعيف السمع فجأة سؤالاً مصيريًا:-  
- وهنفضل إيدك فين يا لبنى؟  
أجابه دون اكتراث : في حمام الجامع طبعا.  
نهض على الصوت الذي لم أعرف اسمه واستدار ليجد صديقه  
من يده ثم قال عالي الصوت بصوت عال:-  
- طيب إحنا هنروح نصلى وننجي لك بس إوعى تمشي.  
- لأن.. أمشي إزاي؟  
- أصل إحنا قاعدين هنا من ١٢ ونص.. وإنتم لسه يا  
دوبك بتتغدى  
بدت لي جملة بايخة زاد بواختها تعليق فجائي من الأصلع:  
- ده أنا شربت عصير مرتبين (!)  
هز السمك رأسه غير مكترث وهو يلتهم السمك والبستان  
المخلل في نشوة حقيقة.. انصرفاً مستدين على بعضهما  
منحدرين مع الشارع باتجاه البحر ثم انحرفاً يميناً باتجاه جامع  
القائد إبراهيم وهو يتبعهما بنظرات مبتسمة..  
أمعنت النظر فيه سريعاً قبل أن يستثير رأسه مجدداً باتجاهي فلا  
أتمكن من تأمله براحتي..

نظر إلى متخصصاً:

- الأخ من مصر

قلت له مسرعاً:- لا.. اسكندراني.. بس قاعد في مصر  
دون أن أسلمه انطلق متحدثاً على سجنته وهو يأكل.. كأنه كان  
يبحث عن متحدث يشاركه ونس الأكل:-

- مالكش حق حد يسيب اسكندرية برضه .. صدقني ربنا  
هيحاسبك .. لا وتسبيها وتروح فين .. مصر .. كان الله في  
عونك .. أنا من طنطا.. بس ما احبش أكل السمك الجزل إلا في  
المطعم بناتع محطة مصر.. أقول لك حاجة وما تصدقنيش.. أنا  
عامل اشتراك في خط القطر بناتع القاهرة اسكندرية.. عارف ليه..  
.. عشان الأكل .. لما يهنى الشوق أنزل اسكندرية لصحابي دول  
اللى انت شفتهم.. وأكل السمك الجزل والمكرونة في محطة  
مصر؟

قاطعته مستوضحاً:

- أكيد بتاكل مكرونة عند (الصاروخ)

هز رأسه مسفة ملاحظتي: لا.. دوكهه بناتع مكرونة.. أنا  
قصدى السمك المكرونة.. الفراح البلدى بقى عمرى ما أكلها غير  
في مطعم في مصر " عارف فين " في التوفيقية.. أما الجمبرى

كان شعره كثيفاً شديد البياض.. ذقنه مهملة ونصف شعيراتها  
أبيض.. يلبس نصاراة عتيقة تخالها ملصقة ببلaster .. " وتنى  
شيرت " رخيص أزرق يكشف عن لحم صدره الملمس ورفته  
المكرمشة دونما تجاعيد.. وبنطاله الأزرق يبدو مكتوباً بما لا  
يتافق مع النصف الأعلى ولا للجزء الأسفل الذي تحته جزمة  
مرهقة تسكو من طول الخدمة وظلم الشولارع.

لدار وجهه رامياً عينيه في عينى.. ارتبت وأشحت بوجهى عنه  
. ملادنى بمعودة:

- اتفضل يا افندي

أربكنى لطف النداء مع أنى لفت لقب الأفندي لسكندراني للنكهة  
كلما عدت إلى الاسكندرية.. فسلامحى التي أظنها محترمة تتلقى  
معها أكثر ألقاب (باشمهندس - باشا - رئيس - شقيق) التي أسمعها  
في القاهرة دوماً.

- ربنا يخليلك يا بيه.. ألف هنا وشفا

قسم جزلة سمك إلى قسمين ووضعها على قطعة عيش ومدها إلى  
فائلا:-

- مش بنعزم عزومة مراكبية والله.

- صادق والله يا باشا

- عارف أكلة السمك دى تطلع لها بكم فى المطعم ده.. بس بجي حاجه واربعين جنيه آدبنى كلتها باتنين جنيه ونص.. وفي نفس المكان.. بالعكس ده أنا قاعد فى الطراوة.. على فكرة الفهود دى كويسة قوى.. مش الشاي لسه فيها بنص جنيه؟.

هززت رأسى مجيا على سؤاله بنعم.. فنادى على الجرسون بصوت عال.. "كوبية ميه يا رئيس"

نظر إلية الجرسون ثم اتجه نحو الرصيف المقابل ليطلب طلبات زبائن آخرين.. ابتسم جلال وقال لى بمرح:-

- الجرسون ابن الذين.. خايف يجيب لى مية أحسن الكوبية تقرفر.. بس كتر خيره.. على الأقل ماجاش يتخانق عشان قلبتها لهم مطعم.. بس لعلماك أنا باحافظ على المكان اللي باقعد فيه.. أى أكل يفضل باحطه فى قلب ازبة

قلت له : لا.. دول ناس ولاد حلال .. هيجب لك مية أكد..  
تلاقيه نسى.

رد على مبتسما: لا هو مش عايز.. ما هو شافنى وقال حاضر  
وراح داخل .. ماعادش في حد ابن حلال غيري  
ثم مستدركا: وغير حضرتك فيما بيبدو كده

فستغرب لما أقول لك إنى ما اكلوش غير فى بنها.. عند واحد بناء سمنك جنب المحطة.. لا وايه وعنه كمان سمنك المكرونة المستوردة من البحر الأحمر.. بس برخيص.. فى طنطا بقى ما اكاش غير فى المسمط عشان أرخص.. إنما باقى الأكل هناك مش ولا بد.

اندمجت في حديثه مكتفيًا بدور المستمع.. اقتربت نحوها قطة صغيرة مبهلة الشكل.. أخذت تدور حول الترابيزه متشممة للمكان.. رمى لها قطعة صغيرة من عظم السمك.. تشممتها بكبرياء ثم ابتعدت لتقف أمام السيارة الراكنة جوارنا وبدأت في فرد عضلاتها.

ابتسم مشيرا إلى مطعم السيد البدوى المجاور لنا قائلا:-  
بالكقطة دى قنوعة عشان تلاقيها وأكلة جمبرى في المطعم ده.. الحمد لله .. لو ما كانتش جنب مطعم كانت نظرت لى هنا..  
بت حرام مش عاجبها الشوك.. مع أن الشوك.. بناء النوعية دى عامل زى فراقيش اللحمة.. مرة جبت منه نواحد صاحبى أكل الشوك بالسمك.

استدار ناظرا إلى المطعم المجاور لنا ثم ضحك ضحكة عميقه:-

أكل تبدو البركة مطروحة فيه بالفعل.. لا يبدو أنه يأكل ربع  
كيلو فقط مع أن الحجم يجعلك تصدق أنه ربع كيلو فعلا..  
يبدو أن احتفاله بالأكل وانشغاله بالحكى كاننى صديق قديم له  
جعله شديد النهم فى أكله.. هناء الله..

عاد ثانية للحكى المبتسם:

بس عارف عايزيني أمشى ويأتم زى ماهم عايزين.. ولو  
طاوعتهم هيخلونى لسبب الشغل وأجرى وراثم. عارف إحنا  
تعرفنا على بعض فى القطر برضه.. كانوا عايشين فى طنطا  
برضه.. بس لوحدهم كانوا بيدرسوا ويرجعوا كل خميس على  
اسكتدرية. أصلهم كانوا متوجزين..

سألته للسؤال الأول منذ بدأ حديثه:- أنت متوجز؟

رد بعنف لستغربته:- لا.. لا.. لا

السؤال فرض نفسه:- ليه؟

صمت قليلاً وبقع السؤال بشربة ماء واستأنف الحديث دون أن  
يعطينى فرصة لمزيد من المقاطعة:-

- أصل ما كانش عندي شقة لغاية من كام يوم عدوا .. لسه واحد  
مفتوحها الأسبوع ده.. بعد ٢٠ سنة خدمة خدت شقة فى طنطا  
بس ٨ آلاف جنيه مقدم وايجار ٩٠ جنيه.. قعدت سنتين أدور على

أطل الجرسون من باب القهوة متوجهًا نحو الرصيف الذى نجلس  
عليه حاملاً كوبين من الماء.. شكره جلال كثيراً.. فطلبت لنفسى  
كوب عذاب.. نظرت إلى كوبى الماء مبتسمًا .. هز كتفه مدارياً  
حرجه ومغيراً الموضوع:

على فكرة صحابى اللي كانوا قاعدين هنا دول طلعوا على  
المعاش.. كنا بندرس سوا في طنطا.. كنت أصغر منهم بكثير بس  
اتصاحبنا.. أنا فضلت في الشغل وهم طلعوا معاه.. لسه فاضل  
لى ١٢ سنة على المعاش..

صمت قليلاً.. وملا فمه بلقة كبيرة.. كان أكله غريباً.. يجمع بين  
النهم والرزانة .

قال مبتسماً:

كويس إن ربنا هادى لى القبط هنا.. إنت عارف إنت قبل ما اركب  
القطر رحت في طنطا لوحد بتاع فراخ كنت عايز أحبيب ربع  
فرخة قال لي ما فيش إلا نص قلت له إن شا الله عنك ما بعث مع  
إن في مصر أعرف واحد بتاع التوفيقية اللي قلت لك عليه بينزل  
لى ربع الفرخة وطبق رز وطبق خضار ونص ليمونة.. كل ده  
باربعه جنيه.. مثل الحرامية بتوع طنطا.. بس الحمد لله السمك  
أبرك.

شقة رخيصة في القاهرة واسكندرية وطنطا.. اللي خلاني أخذ الشقة دي إن بيمنها وبين القطر ٧ دقائق بس.. عشان أسافر براحتي كان عندي ورث في بيت في القاهرة بعنه بـ ٥ ألف وقلت أعيش في طنطا.. كسبت اليانصيب قمت شاري الشقة وكتبت عقدها.. شقة حلوة في بيت اصحابه عشرين.. مارضيش اسكن فوق السطوح.. أصل أنا عشري وأحب الناس.

قطع حديثنا قفزة مفاجئة لقطة في محاولة للصعود على مقدمة السيارة.. لم نفهم سر قفزتها إلا عندما طار من الشجرة الصغيرة المجاورة لنا عصفور صغير عاودت الفوز مجدداً إثر طير أنه.. قال معلقاً:-

- شايف القطة ياعم مش عاجبها الشوك وعايزه تصطاد عصفور.. عندها طموح.. الفاجرة..  
كان قد انتهى من أكله دون أن يترك باسم الله ما شاء الله سوى قليل من الشوك وبعضاً من فتات العيش..

بنظام طوى ورق الجرائد على بوافي أكله ووضعها في كيس بلاستيك التقطه من الأرض وأغلقه بإحكام ومسح يده في منديل محلاوي نصيف أخرجه من جيب بنطلونه.. باس يده وجهاً لظهور

وأكمل شرب الكوب الثاني من الماء وزرع طالباً كوب شاي.. لم يجد عليه أنه مدخن..

زحف بكرسيه قليلاً نحوى وواصل حديثه دون أن يجد أنه كان قد توقف:-

- إنت عارف.. أنا لازم اتجوز.. واجرب النظام ده.. هاصبح شعرى.. ولو مالقيتش عروسة.. هاخلى إصحاب البيت يجوزونى.. صمت قليلاً ليعبت بأظافره فى أسنانه ثم استأنف:-

- على فكرة الواحد ما بيصلش بانتظام إلا لما بيقى متجوز.. وبعدين هو أنا لو كنت متجوز كنت أجرى وراء الأكل كده..

تملك الحزن من حديثه فاتصل همه بهمى وبدا كأنه عشرة عمر قد يشاركتنى خيئتي ويحكى ببساته وجعى:-

- إذا لقيت واحدة كويسة هأخذها تعيش معايا في الشقة ومش هاكل غير من إيديهما.. ما فيش أديني عايش في الشقة نحد ما أموت.. ما أنا قلت لاصحابي أنا خلاص خدت الشقة اللي هاموت فيها.

تنهد بعمق ثم قال جملة واحدة صمت بعدها ملياً.. ليشغل بتقليل كوب الشاي الذي حضر للتو :-  
- أصلى هاعمل إيه يعني..

- إنت عارف صاحبى اللي كان قاعد هنا.. اللي كان بيزعق ده..  
اتجوز مرتبين بس بيقول لي من يوم ما عرفته إوعى تتجاوز  
هي تخرب بيتك.. المهم إنه بيقول إنه اتجوز مرة تالتة.. مع إن  
عمرى ما اتصلت بيها ورد على صوت حريم.. واضح إنه  
مستفرد بنفسه وسايب عيلته.. إنما الأقرع اللي كان قاعد هنا ده  
مجوز مرة واحدة ومراته قربت نموت.. عندها الخبيث بعيد  
عنك..

قبل أن يرشف الرشفة الأخيرة من كوبه سرحت عيناه طويلاً  
باتجاه البحر وهو ممسك بالكوب قريباً من يده..  
لمعت عيناه وهو يلتف نحوى وقال كمن توصل إلى قرار  
حاسم:-

- بس أنا رأيي الواحد يجرب كل حاجة.. حتى في الآخر يجرب  
الانتحار بقى عشان الحكایة تخلص.  
انقبض قلبي أو لعله تحطم أول على بكى أو أوشكت أن أبكي..  
 بينما رشف هو آخر ما بكوبه من شاي .. وأنزله بقوه على  
للترابيزه.. ثم إنه لم ينطق بحرف ولم يلتف نحوى.. كأنه لم  
يرأى أصلاً.. وكأنه لم يكن قد أمضى الدفائق الماضية التي لا  
أعلم عددها يحدثنى ضاحكا وشاكيا.. وكأنى كنت جزءاً من

رشف رشفة من كوب الشاي ثم قال لي مشيراً إلى شعره دون أن  
يلمسه:-

- عارف أنا شعرى شايب من وأنا عندى ٣٠ سنة.. وبعدين من  
٥ سنين لما ابتدت أرتاح نفسياً ابتدأ يسمى شويه.. ساعات أقول  
يارب سود لي شعرى.. أصل ما عنديش طولة البال عشان  
أصبغه.. إنت عارف في ناس يقولوا لي إنت أصغر من منك  
وناس يقولوا لي العكس.. لعلك أنا متهدأ لي شعرى شاب من كثر  
الناس اللي شفتهم بيموتوا على السكة الحديد.. هو أنا قلت لك إني  
ساكن قريب من شريط القطر .. لسه وأنا جاي شفت واحد  
لقتل.. كان بيجرى ورا واحد تانى بمطواة عشان يغزه .. انكجل  
على شريط القطر والقطر خده.. انقرم وقعد اللي كان بيجرى منه  
يلم في اللي فاضل منه وهو بيعيط ويصرخ.

فرضت الصورة القافية مزيداً من الكآبة والحزن على المكان..  
لو كنت أعلم أن حديثه سيفضى بي إلى هذا البئر السحيق من الهم  
لما استمعت إليه.. لكن ظرف حديثه خدعنى في البداية..

لم يشا أن يرحمنى إلا للحظات رشف فيها رشفة من كوبه وعاد  
لتعذيبى:- ليه رأيك أجرب الجواز؟  
لم ينتظر إجابتى وواصل حديثه :-

قام إليهما حاملا كيس بوافي الأكل.. أشار عالى الصوت إلى الجرسون زاعقا "راجعين ثانى يا إبني" ودون أن يلقي حتى السلام على أو حتى يلقي على نظرة أي نظرة. ذهب الولد جلال المسمك شريكى فى الحياة طيلة الدقائق الماضية.  
انحدر ثلاثة سويا مع الشارع منعطفين باتجاه مسجد القائد ابراهيم وانحدر حزن كبير لعله مليئ بالدماء على خدى.

الإسكندرية ١٩٩٩

طقوس طعامه وشربه الشاي فلما انتهى انتهيت، وانتهت حاجته إلى..  
أمعنت النظر إليه لعله يلتقط فلم يفعل.. هممـت بأن أحدهـه فاختنق صوتي بحـشـرة مـرـة.. أخذ يفرـك يـديـه مـحـدـقاـ فيـ المـجهـولـ..  
لم تـجـذـبـ اـنـتـابـاهـ نـحـنـحـاتـيـ المـتـالـيـ وـلـاـ مـدـىـ يـدـىـ نـحـوـ كـوبـ المـاءـ  
المـسـتـقـرـ إـلـىـ جـوارـ كـوبـ المـمـتـلـىـ بـبـقـائـاـ الشـايـ..  
من مطلع الشارع المنحدر أطل صاحبـاهـ مـسـتـدـيـنـ إـلـىـ بـعـضـهـماـ..  
تـبـادـلـاـ مـعـهـ الـابـتسـامـاتـ وـالـتـعـلـيقـاتـ التـىـ لمـ أـسـمـعـ أـغـلـبـهاـ.. وـاـصـلـ  
تجـاهـلـهـ لـىـ.. مـعـ أـنـىـ تـمـنـيـتـ أـنـ يـسـتـدـيرـ إـلـىـ لـيـسـلـنـىـ عـنـ إـسـمـىـ اوـ  
يـعـرـفـنـىـ بـصـاحـبـيهـ اوـ يـقـولـ لـىـ أـىـ شـيـئـ عـلـهـ يـكـفـرـ عـنـ مـاـ اـرـتكـبـهـ  
بـحـقـىـ مـنـ تـعـذـيبـ.

قال عالى الصوت:- إنت ليه ما بتصليش يا أخي.  
رد بهدوء:- أغسل يدي وأصلى.

قال الأصلع ضعيف السمع:- أنا عايز أركب الترام أبو دورين  
- هو آخر خطه فين

- قوم بينا وأنا أقول لك  
- والقهوة؟

- دى بتاعتـنا وناسـها أـصـحـابـناـ.. هـنـرجـعـ لـهـمـ

# عندما انفتحت الشیخ عرفة فضیحة القطط على المنبر !!

"وكم ذا يصر ..."

ولكنه ...."

فى حياتى كلها لم يصدق على أحد عرفته أنه فضح فضيحة  
القطط مثلاً صدق ذلك على خطيب جامعنا المسكين - المسكين  
هذا عادة على الجامع لا على الخطيب - .  
والحق أن الخطيب المذكور كان يستحق فضيحة أكثر دناءة  
وقبحا.. فضيحة الصرافير مثلاً لو كانوا قد ضبطوا لها  
فضيحة.. أو قل مثلاً فضيحة ذبابتين قتلهما طفل وهو ما تمارسان  
الجنس الفموي..

الشيخ عرفة.. هذا إسمه الذى ( انزلط ) إلى الذبا به مع أنه لا  
علاقة له لا بالمعرفة ولا بالعرفان..

فى أوقات الصلاة الخمس وقبل إقامة الصلاة تجد الشيخ عرفة  
خارجاً من غرفة الإمام الذى يجاور بابها المحراب.. ناظراً إلى  
المصلين شريراً يعينه الوحيدة الصالحة للاستعمال - لم تذهب  
الثانية من كثرة البكاء من خشية الله بل ذهبت فى مشاجرة أشلاء  
إحدى موائد الرحمن - يعطى الجميع ظهره ثم يستدير فجأة بعنف

عرفة بحرف الباء .. والحمد لله أنه لم تصل الجرأة إلى استبدال الحرف في اللالقات كبقية من احترام لبيت الله وإن صار من المألوف أن تسمع بين الحين والأخر ضحكة رقيقة المغزى تصدر بالضرورة عن مصل يصلي لأمر كان يطلب وصله الإفيف للتو. شيئاً فشيئاً أصبحت اللالقات جزءاً من المظاهر الثابت لجامعتنا المنكوب.. وكانت من القلائل الذين أدميوا انقادها حتى آخر يوم تركت فيه الصلاة بالجامع والانتقال لجامع آخر يبعد كثيراً عن مسكنى..

ولم يحدث ذلك إلا بعد خنقة ضارية مع الشيخ عرفة. كانت قد دخلت إلى الجامع متأخراً لأداء فرض العصر.. التحقت بجماعة ثانية بدأت بخمسة أفراد وانتهت بحوالي ٢٠ مصلياً.. كان الشيخ عرفة قد استفرد باثنين من أرباب المعاشات لييخ في آذانهم من غزير علمه الذي يكفيك لإدراك مدى غزارته أن تعلم أنه شخص خطبة جمعة كاملة للثواب الذي يمنه الله لمن يحسن معاملة الإمام والجواري والعبيد وفضل إعناقهم لوجه الله - لاحظ أن هذا حدث في عام ١٩٩٤ .. نعمانة.. هـ - ولو كان حديث الشيخ عرفة هذه المرة بصوته (الجاعوري) ونحن نصلى عن السرقة والجواري لهان الأمر لكنه اختار لأجل حظنا التعمس أن

ليصبح ( كله يحفظ متاعه أمامه .. لا نريد قيلاً وقلاً في مسجدنا .. جزاكم الله خيراً .. لولاد الحرام كثير ) .. هكذا كل يوم ٥ مرات حتى عندما يصلى الفجر في الشتاء مع أربعة من العجائز الذين يقوى الواحد منهم بالكاد على حمل نفسه ناهيك عن حمل أي متاع.. وحتى وبعد أن تجرا أحد زوار مسجدنا العابرين وسأل الشيخ عرفة عن حكمة الصياغ بصوت عال قبل الصلاة ومدى جدواه في منع سرقة المتاع من المسجد.. أرغى الشيخ عرفة وأزيد.. لكنه في اليوم التالي أدرك أن صياغه اليومي غير كاف.. وانتتب طالباً من مدمني الصلاة أيام الامتحانات ليكتب له لالقات بخط بارز وصارخ كتب فيها عبارة ( حافظ على متاعك ) وعلقها في مداخل الجامع الأربع.. أثارت اللالقات ردود فعل عديدة كان أجرها هممية سرت في الصفوف الخلفية بمنأى عن جعير الشيخ عرفة الذي ينعي إلى الله دائمًا قلة أدب الأجيال الجديدة الملعوب في أساسها طبقاً للتعبير.. سرت الهممية من شاب زائر للجامع لأغراض عاطفية - هي باختصار مصادقة الحاج حسن أبو محبوبته الذي يصلي الفرض بفرضه حاضراً - ثم أصبحت الهممية إيفتها يردد بعض الشباب البذئ داخل المسجد.. كانت الهممية قد استبدلت حرف الميم في عبارة الشيخ

لتنقض الشيخ عرفة كمن عضته سطعة.. كان واضحاً أنه يسمع لأول مرة عن الحديث الشريف الذي قلته.. غاظه تجمهر الناس مؤيدين لما قلت فاندفع صائحاً في لهجة اختفت فيها كل التبرات التي تمت للدين بصلة مؤكداً سجله المهني ومتحدثاً بطريقة الباطجية. (كاره القديم على ما يبدو طبقاً لتهامس البعض الذين حفوا على المصحف أن عرفة لم يحصل على ترخيص من وزارة الأوقاف للخطابة متمنين على الله أن يجد أحد المسلمين وقتاً للذهاب إلى الوزارة للإبلاغ عنه).

قال عرفة والشرر يطق من عينيه:-

الله الله يا باتاع إنت.. ما تيجي تقد مكاني أحسن.. وتفتى في الجامع بتاعي.. لا يا خويَا أنا أقول اللي يعجبني ما دام شرعى ولا مواعدة.

قللها عرفة قبل أن يندفع ممسكاً بزمارة رقبتي لأمسكه بدوري من قفاه.. كان يمكن أن تنتهي مناقشة حكاية (شرعى ولا مواعدة) هذه في قسم الجيزة.. لكن صديقاً قدماً أنقذ الموقف بسحبى خارج الجامع وتكرم بأن أسدى إلى نصيحة بأن أترك الصلاة في الجامع لكي لا يضعني الشيخ عرفة في دماغه مثلاً فعل أكثر من مرة مع مصلين آخرين كان يحرص على مضايقتهم بوسائل شتى أهونها

يتحدث عن آداب جماع الرجل لامرائه وحكم الوظء في الدبر.. كان ضده بالمناسبة.. فنحن نذكر الحوار كاملاً لأننا لم نفقه من صلاتنا شيئاً.. كلنا بلا استثناء كما عرفت فيما بعد.. خذ عندك أبسط دليل أن إمامنا سلم بعد ٣ ركعات ثم قام للرابعة بعد أن نبهناه ثم نسى سجود السهو قبل أن تنبهه ليسجد السهو ثم ينسى أن يسلم.

بعد سلام سجود السهو اندفعَ واقفاً والدم يغلُّ في عروقى وصحت:-

- حرام عليك ياشيخ عرفة.

وبسخنة تبلدت ملامحها رد على:-  
- خير يا أخيها.

- ما يصحش كده ياشيخ عرفة.. حبك الكلام عن الجماع دلو قنني .. ما قدرناش نركز في الصلاة.

- وذنبي إيه إن إيمانك ضعيف.

- ما فيش داعي للغلط ياشيخ عرفة.. ده إنت المفروض تبقى قدوة.. والرسول صلى الله عليه وسلم يقول (لا يشغلن قارئكم مصالحكم) .. ده قارئكم للقرآن.. ما بالك بواحد بيكلم الناس عن اللي لا مواعدة مش عارف إيه بيعمل إيه في مراته..

---

الفطر مع يوم جمعة، والذي أصبح يوماً مشهوداً في شارعنا حتى الأن. كان يمكن لهذا اليوم أن يمر في هدوء لو لا طفاسة الشيخ عرفة وناته.

كان عربياً ومحمد وعبد الله أصحاب ورش التجارة المجاورة للجامع والمطلة على شارعنا قد عزموا أمرهم على كلّه فسيخ متينة وكاملة من مجتمعها مثل البصل والملانة والليمون والذي منه.. ولأنّ الشيخ عرفة يعرف جداً تحريم الإسلام من وجهة نظره لعدم قبول دعوة المسلم حتى لو كانت على شقة طعمية محروقة.. فقد كان أول الملبين والمشاركين كعادته دائماً.. ورغم أن البعض حاولوا /ليس تدينا منهم بقدر ما كان حرصاً على طعامهم/ أن يلفتوا انتباهه إلى التقليل من الطعام أو حتى على الأقل التخفيف من التهام رؤوس البصل الأخضر أبو شوشة لكي يستطيع أداء الخطبة دون أن يكس عليه الوخم .. لكن الشيخ عرفة رد وبقايا الفسيخ تناثر على ذفنه المشعثة بأنه يستعين بالطعام على طاعة الله سبحانه وتعالى.

كس الوخم بالفعل على الشيخ عرفة بعد الأكل ليوقفوه متجلين قبل نصف ساعة من الخطبة.. ( طس ) وجهه بقليل من الماء وتوضأ مسرعاً ثم صعد إلى المنبر لتبدأ وقائع أسود يوم في عمره

---

التبيط عليهم في خطبه ومواعظه.. طمانت صديقي أتنى إذا كنت لن أصلّي في هذا المسجد ثانية فلأنني لأقبل الصلاة خلف إمام جاهل كالمسمي زوراً بعرفة ..

انقطعت عن الصلاة في المسجد ذاهباً إلى مسجد آخر بعد قليلاً.. وبعدها عرفت أنّ الشيخ عرفة ألقى بعد صلاة المغرب في ذات يوم خناقتنا خطبة عصماء لعن فيها خريجي الجامعات الذين حلّت عليهم لعنة الله فطمس على قلوبهم غواصة - أقسموا لي أنه قالها هكذا - .

ومرت الأيام التي ما يعلم بها إلا ربنا .. واستمر جامعاً كما هو تحت سطوة الشيخ عرفة.. كل يوم وأنا ذاهب إلى عمل أجره جالساً في مقعده الأثير تحت شجيرة أمام الجامع مرتبياً بذاته الصيفية الكالحة التي يبتلها عند الأذان بزى أزهري يقولون أنه اشتراه من ورثة خطيب الجامع السابق الذي مات منذ عامين.. وأخرون يقولون أنه سرقه.. دائماً في نفس الوضع.. عقب سيارة مدفون في فمه يشده بحرقة وهو يحدق في المجهول ويهز رأسه في إيقاع منتظم.. خلقة الكثيبة تبدد كل أمل في (اصلاح) الحال. لكن عدالة السماء لابد أن تنزل لزماً وحتماً على استاد باليرمو .. كان ذلك عندما جاء اليوم الذي توافق فيه يوم عيد

يوماً كاملاً.. بينما استغرق الناس بضعة أسابيع حتى اختفت بينهم  
ظاهرة كريزة الضحك الفجائية أثناء الخطب..

اختفى الشيخ عرفة ذاهباً إلى حيث ألقى ولم يعرف أحد إلى أين  
ذهب ولا إلى أين ألقى.

أصبحت الصلاة بالتناوب بين عجائز المسجد أنصار مدرسة  
قصار سور.. وتولى عم صبحى مهمة الخطبة التي كان يقرأها  
كل جماعة من كتاب الخطب المنبرية الذى جاء به من السعودية  
في رحلة حج.

بقيت لافتة (حافظ على متاعك) .. وبقى جامعاً.

الجيزة - شارع المحطة

١٩٩٥

بالتعثر في الدرجة الثانية من المثير .. بعد أن (لموا) الشيخ عرفة  
من الأرض حاول التمسك بصيحة طويلة ( وحدوا من لا يسهو  
ولا ينام ) . وبدأت الخطبة وباليتها ما بدأت.

لم يكن الشيخ عرفة قد أعد شيئاً ليقوله في الناس .. لكنه اجتهد على  
قدر طبقات صوته في الصياح وبدأ الخطبة بالعبارة التي يرددها  
كل عيد صغيراً كان أم كبيراً .. عيد كحك كان أو عيد لحمة ..  
(ليس العيد لمن ليس الجديد ولكن لمن خاف يوم الوعيد) .. فجأة  
فوجئ به المسجد يصرخ بصوت عال كأنه يطرد النوم عن عينيه  
مكرراً (ليس العيد لمن ليس الوعيد...) ولكن لمن خاف يوم  
الجديد) .. وعندما ساد الهرج بين المسلمين الذين حاولوا كتم  
ضحكاتهم على إثر غلطة الشيخ عرفة.. عدتها صمت الشيخ عرفة  
وبعدها افتصح فضيحة القبط.

حتى الآن عندما يروى أهل جامعاً ما حدث يختلفون حول عدد  
الأصوات التي أمسكت المسلمين ثم هزت الجامع بالضحك ثم  
كتبت نهاية الشيخ عرفة. البعض يقسم أنها جاءت متتابعة ومتزاوية  
في مدها الزمنية.. بينما يقسم آخرون أن واحدة جاءت في  
المائصف متميزة عن أقرانها زماناً وأثراً. لكن الجميع أجمعوا  
على أنه ليس من سمع كمن شم.. وأن تهويه الجامع استغرقت

# صخرة الكومبو

"لكل شئ إذا ما تم نقصان  
فلا يغير بطبيب العيش ... حيوان"

لم أدر بنفسي إلا وأنا داخل المطعم الفخم ذي السمعة الأفخم.. ربما أغرتني الاتساعية الطبقية المفاجئة على ارتكاب هذه الحماقة، لم أكن أعرف شيئاً عن أسماء الأكلات ولأسعارها، لكن استعمال حداقة القراء الذين يسمونهم بـ(أولاد البلد) حرصاً على عدم جرح مشاعرهم جعل الأمور تمر بسلام.. دفعت ٣٠ جنيهاً مرة واحدة ثمناً لـ٤ سندوتشات تقارب في حجمها الكحك الذي تصنعه جدتي..

كل هذا لأن الرجل سألني بعد أن طلبت سندوتشات الهامبورجر الأربعه "حضرتك عايزة هم كومبو" ولأنني لم يحصل لي شرف التعارف على كلمة كومبو خلال سنوات الدراسة العامرة أجبت خالقاً من أن أصرح بجهلي : "آه طبعاً".

قلت لنفسي "تجربة إنسانية تقوت ولا حد يموت"، استدرت هارباً من نظرات عامل المطعم الذي يكتب إبتسامة ساخرة تريد أن تقول لي لو لا خوف من المساعدة "إنت ليه اللي جابك هنا.. مالها

عربات الكبدة والمسجق اللي باكل أنا وانت فيها آخر النهار .. قبل أن أغادر المحل ندانى قائلًا "مش تاخد الحاجة الساقعة بتاعتك يا بيه" فجأة وجدتني على الكورنيش أمام المحل أحمل كيساً ورقاً به سندوتشات تقارب في حجمها الكحك الذي تصنعه جدتي و؛ أكواب ورقية من الحاجة الساقعة، كيف سأشرب كل هذه الأكواب، كان منظري وأنا أُمِير نحو صخرة المفضلة في شط ستانلي حاملاً ماحمله مثل عامل توصيل طلبات لا يرتدى (اليونيفورم).

وصلت إلى الصخرة المنعزلة التي أجلس عليها دائمًا متأملًا في الهيولى لعل أفهم الحياة أكثر، ألهجتني رؤية فتاة جميلة تجلس قريباً مني على حاجز خرساني خلف الصخرة، آثرت الجلوس بعيداً من الصخرة حتى تتصرف الفتاة، أخذت الفتاة تنظر إلى باسمة، عزرتها فهي تظننتى رجلاً مجنوناً وشرها، وإلا ما تفسير كل هذه الأكواب التي أضعها بالقرب مني، غالبت خجل الغريزى تجاه الجمال، رفعت كوباً وهزّته باتجاهها، وقلت لها "تفضلى" .. الغريب أنها تفضلت وأنا.. أنا الذكر كنت خجلانا عندما تفضلت، اقتربت مني بجسمها الأذكثراً من المسندوتشات التي تقارب في حجمها الكحك الذي تصنعه جدتي، دون خجل أخذت كوبين وقالت لي "شكراً يا ذوق" استدارت حاملة الكوبين ترجرجهما تثنياتها

التي لا تحتمل، أخذت كوباً في يدها وأسندت الآخر في مكان ما خلف الحاجز مرت النصف ساعة التالية وأنا أفكر متعجبًا هل ستفكر لوحدها على شرب كل هذه الكمية من الحاجة الساقعة، ثم مرت النصف ساعة التي تليها وأنا أفكر في طريقة للتمحك فيها ولو حتى من باب رد الجميل.

مرت ٥ دقائق، همت بعدها بالنهوض متوجهًا إليها ..

لكنها هي التي نهضت فجأة، واستدارت بجسدها لتنتقل إلى الطرف الآخر من الحاجز الخرساني، وقبل أن تفزع وبينما كنت أنا مشغولاً بإيجاد توصيف لونى لفخذيها الذين انحرفت "الجيبيه" عنهم، استدارت بيديها وكأنها تلتقط شيئاً ما خلف الحاجز، ظننتها ستعيد لي الكوب الذي لم تشربه، أخذت أفكر في ما سأقوله لها، وكيف سأتخذ من الحاجة الساقعة مدخلاً لتفاصيل غير "ساقعة".

دخلت المشهد فجأة يد أمينة من خلف الحاجز، لحقت بها بعد قليل يد أخرى، أصبحت أو بلفظ أدق أمست اليدان فجأة جمد شاب وسيم ضاحك، يشد الفتاة إليه وهي تحاول جذبه ليصعد فوق الحاجز ، ارتمت بمزاجها عليه وكأنها فشلت في جذبه لتسقط في أحضانه خلف الحاجز، بينما ارتفعت رجلها عالياً في الهواء، لأنسي كل ما كنت أفكر في قوله لها، ولتصبح نصيبي من المشهد رؤية كل التفاصيل التي تتعب كثيراً كشاب هائج لتراءها، وفي

الغالب لا تراها جيدا لأنها تكون مربطة بهبة من تيار هواء عنيف، أو قشرة موز ملقة فوق رصيف، أو عربة ميكروباص عالية على فتاة ذات جيبة قصيرة تحاول الصعود ..

أخذت راحتها في أحضانه وأخذت عيني راحتها في أحضان فخذيها، أصبحت أو بلفظ أدق أمست الساقان المصبيتان فجأة واقتين أمامي منفرجين بينما لازلت أراهما بعين خالي مائتين ببعضهما، دخل في الكادر ليشوش جماله وجه الشاب صاحب النصيب في شرب كوب الحاجة الساقعة ، مد يده الكريهة لى مصافحا وقال بحرارة "متشرkin قوى على الحاجة الساقعة عقباً ماتشربها في فرحةك" ضحكت الفتاة بطلع وجذبته من ذراعه دون أن تكلف خاطرها وتعبرني بكلمة، ولو حتى من أجل خاطر الحاجة الساقعة، في اللحظة التي فكرت أن أنتفت فيها لمراقبتها وهما يتبعدان، سمعت صوت درجة كوبين من الورق المقوى على الصخرة، كان واضحاً أن الهواء سيحملهما ليعانقا موج البحر قبل أن يغيا في أعماقه. وكانت الصخرة المنعزلة لا تزال في موضعها تتحدى الموج والريح، وكانت أنا عاجزاً عن إكمال الكوب الرابع من الحاجة الساقعة، ومنتظراً لفتاة جديدة أهدى لها لنقاومته هذه المرة مع شاب مُبخت يقتحم حياتي من خلف الحاجز الذي أجلس وراءه محدفاً في الهيولي لعلني أفهم الحياة أكثر.

الإسكندرية

١٩٩٨

"إذا كانت الخطابات العاطفية لا تجدى مع ساكات الخليفة ودوران ثيرا وغبريل.. فلماذا لا نكتبها إذن لساكات ماهاطن ودوران بفروي هيلز.. مادامت الحكاية تحصل حاصل".

## خطاب "open" إلى مدام جوليا روبرتس

"حق ياقليي الحزن ما عاداش فيك  
معلشي معلشي لك يوم برضه راح تتملا"

## عزيزي.. جوليا روبرتس..

كنت أتمنى أن تكون لدى الجرأة لأقدم نفسي إليك في خطابي هذا بوصفي واحدا من أثرياء منطقة الشرق الأوسط الذين يتبعون بمزيد من الإعجاب مسيرةك الفنية المبهرة.. وأدعوك أنت و"ورفريند" الذي يقولون أن إسمه الآن بنجامين برات - لقضاء أسبوع كامل في منتجعات مصر السياحية وركوب الجمل في الهرم (أو الجمال في الأهرامات من باب التعظيم) والتخطيط لانتاج فيلم مشترك مع شركة رينيسانس للسينما التي تملك أغلب أسهمها والتي تديرها زوجته النجمة المصرية الشابة جيهان فاضل والتي تملك قبسا من نورك..

لكن الحقيقة أن ضغطة واحدة منك على زرار في المدعوق الانترنت، بالغبائي، وكأنك ستكتفين نفسك عناء ذلك، سيقوم به بالطبع واحد من معجبيك العتيدين في السى آى إيه والتي يقولون أنها تمتلك ملفات بها حتى مقاسات ملابسنا الداخلية -المخروفة

الشاشة.. يخافون علينا من الفتنة ودخول موقع السيكس- يابحثكم في أمريكا طبعا.. بتنطوا على بعض براحتكم. آسف على هذا الاستطراد العفو.. فكما تعلمون.. الهيجان وحش..

المهم. أكتب لك على أمل ضعيف أن يصلك الخطاب. عندما يقوم أحد أصدقائي من الصحفيين الفنيين - غالبيتهم لدينا ليس لديهم ذمة كمالديكم في هوليوود - ما علينا وعدني صديقى الصحفى الشريف - لكي لا يزعلي لو قرأ الخطاب كما أتوقع - بأن يعطيه لصديقه الممثل الشاب خالدالنبوى الذى صرخ مرارا وتكرارا أنه تلقى عروضا كثيرة للعمل فى هوليوود وأنه سيسافر إليها قريبا، ولادرى هل ينفع علينا فى مصر ليعلى سعره أم أن ذلك حقيقى، عموما هو فنان كويس وأتمنى أن لا يزعلي لو قرأ هذا الكلام عندما يفتح الخطاب كما أتوقع، وأتمنى إذا حصل النصيب وقابلتك لتسليم هذا الخطاب أن تأخذى بالك منه، فهو غلبان وغريب وستكتسبين فيه ثوابا حتى لو أزعجك بطاليه أن يمثل معك فى أى فيلم من أفلامك.

منذ قليل انتهيت من مشاهدة آخر أفلامك التى نزلت عندنا فيديو.. يسمونه فى السوق عندها "العروس الهازبة" وهو قريب من إسمكم الأصلى.. إحمدى ربنا لأنهم لم يسموه شراسة القط الأسود

غالبا- وبالطبع ستعلمرين إن عاجلا أو آجلا أنتى جلست لأكتب إليك هذا الخطاب فى شقة حفيرة من شقق شارع الفاتح بالجيزة على ترابيزه الأكل التى لازال يرقد عليها سندوتش بطاطس بوريه نجا من عشاء المتأخر، يتمشى أمامي برص وصرصار، تعرفين الأخير أما الأول فلا أظنك قد سمعتى عنه، لا أحسب أن الله رزقكم أبرااصا فى أمريكا..

بيليف مى.. لا أعرف لماذا أكتب إليك خاصة أنتى لا أعرف عنوانك ولا يحزنونى.. ولاائق فى العنوانين التى ينشرونها فى مجلة الشباب لك وللاخوة زملائك - أحس أن محررا ما يضر بها" على القهوة- بالتأكيدك "إى ميل" أو "إى ميلى" كما يسميه صديقى عديم الكمبيوتر.. لكننى لا أعرف.. وحتى لو عرفته فلن أجرؤ على الذهاب إلى الواد محمد عبدال الكريم .. الوحيد ذو الكمبيوتر بين من أعرفهم .. لاستسمحه فى إرسال "إى ميل" لأنه محدث نعمة ولو لا دخوله النيابة الإدارية بالصدفة حيث يحصلون على الكمبيوتر بيلاش تقريبا، لاستمرفى قضاء أوقات فراغه معنا على قهوة الأهلى والزمالك بشارع المحطة.. بال مقابل أجد صعوبة فى الذهاب إلى "إنترنت كافيه" لأرسل إليك هذا الخطاب.. فالموظفون غالبا ما يحملقون فى ما نكتبه ونشاهده على

أمسية عشرات الشقينيين من زبائن القهوة الذين بالتأكيد يحلمون بك الآن مثلّي. مع اختلاف الطقوس... هم يمارسون أحلامهم بما هو أكثر جدية من الكتابة وهو ما لم أجرب على فعله معك فلست عندي كزميلتك مدام ديمى مور أو مدام شارون ستون أو مدام ياميلا أندرسون.. بمناسبة باميلا ذات الصدر المتضخم. أعجبني لك لم تتجأى لتضخيم صدرك في الفيلم كما فعلتني في فيلمك بيرين بروكوفيتش. (الذى استلفت ١٥ جنيه من الواد الجزمة أكرم لكى أحضره فى سينما جينيه لم ١٥ جنيه التذكرة.. ما يغلاش عليك)..

على أي حال لا تزعى من الصحفى بتاع النیوزويک.. لعاك تعلمين إلى أي حد هى قذرة الصحافة وحقيرة وملينة بالأدعىاء.. بالمناسبة أنا صحفى شاب.. وأعجبنى أدائك لدور الصحفية فى فيلم (أحب المشاكل) مع الرائع نيك نولتي (بالمناسبة سرقوه عندنا في مصر ومثله واحد اسمه محمد هنيدى وواحدة اسمها حنان ترك) والثبى سلمى على نيك نولتي وقولى له أن نطق إسمه محرج لدينا .. هل يمكن أن يجعله نيكولاوس نولتي.. على الأقل لكى يرحم وانده نولتي من سخرية السفلة لدينا.. على فكرة الصحافة لدينا ليست كما صورتها فى أفلامك.. ليس لدينا

الجزء الخامس" فالناس عندنا تحب أفلام للرعب والضرب ومحمد هنيدى..

الغرىب أنى قرأت موضوعا عنك فى مجلة(نيوزويك) التى أصبحت بتاع لدينا بالعربى لزيادة التقارب بين شعبينا الصديقين، يقول كاتبه أن الفيلم كان طويلا ومملا وثقيل للظل، والحقيقة أنى تمنيت أن أتف على وجه هذا الكاتب انتقاما لك ولفيلمك الساحر الذى عذبني وأبكاني برغم محاولاتي التماسك حرضا على صورتى فى القهوة التى كنت أشاهد فيلمك فيها(سميتها مجمع صالات هيلتون الناصرية لأن بداخلها ؟أجهزة فيديو يعرض كل منها فيلما مختلفا). لأسف لا يحب نزلاء القهوة أفلامك كثيرا لأسباب متعلقة بموقفهم من الرومانسية.. ليتزنت بيرسونال.. هم يفضلون زميلك فان دام وزميلك جاكى شان وزميلتك ستيوارتزروك وزميلتك المصرية جالا فهمى - التي مصرت مرة فيلمك "بريتى وومن" فجعلته يليق بنا فعلا- المهم أن ذلك أضطرنى لتأجير الفيلم من نادى الفيديو ودفع ٥ جنيه للمعلم ليسمح لى برؤية الفيلم داخل القهوة.. كان الجمع حاشدا في البداء لكنك خيبتى آلامى هذه المرة بملابسك المحشمة.. ولم تلقي حماسا إلا عندما بدأ مشهد عرس هاوى الذى ارتديتى فيه البكينى. فأسعدتى

كاما صاحيا فى مؤخرته.. فى بلادنا يقولون الفار يلعب فى عبى.. بالطبع هناك اختلاف حضارات-

بليز لانقضبى من استطراداتي فحن نعشق الرغى والله ونمومت فى الونس فاستحمليني الله يبارك لك .. المهم أعود اليك وأنت تسيرين فى ممر الكنيسة على أنغام موسيقى الزفاف الرايحة .. كاد قلبي يتوقف عندما توقفت فجأة وسكنت وجهك نقطية مهيبة كأنك تستعدين للهرب من عريسك المحتمل الرابع.. بكيت على صدر المعلم جعبل تصامينا مع ريتشارد عندما هربتى منه بالفعل وهو يجرى خلفك متتصدع القلب ومكروش النفس حتى يتوقف عن الجرى خلفك ويعود إلى بيته مكتبا ذلك الاكتتاب الأمريكى الجميل - بيره وموسيقى حزينة وأجازة فى الريف - عندنا نبكي بالقرب من كوبرى عباس ونفكر فى رمى أنفسنا فى النيل ثم نذهب إلى البارات الفليلة الباقيه لنشرب الـ ٨٤ - بيتى فور - وروم راسن للعبد أو شيئا من البانجو - مخدر زى الماريجوانا بس على أوسمخ - لا تصدقينى لم أشرب شيئا من ذلك فأنا أكثر خيبة من أن أسكر أو أنسطل.. لأن أمى لسعتى وأنا صغير عندما دخنت سيجارة فأصابتى بعقدة من كل ما يغضب الله.. أكتفى بتقليل المراجع مع أصدقائى وأكل الكشري ثم البكاء الذى يصحبه نشيج

نيكolas نولتى ولا دنزل واشنطن (الصحفى الشريف بناء فilm قضية البچع).. لدينا كائنات جاهلة مدعية تنفس الكذب هل تصدقين أنى تركت العمل فى الصحيفة الخامسة على التوالى لأنى ضبطت رئيس تحريرى الكاتب التقى فى وضع مخل ومختل مع صحفية شابة كان يقول لنا أنه يدربها على التحرير الصحفى فإذا به يدربها على تحرير النصف الأسفل من جسمها.. يقولون أنتى أخرق.. بالتأكيد وإلا ما كنت أكتب إليك الآن.. أحلم أن أكشف فسادا مثل الذى كشفته أنت ودنزل واشنطن الصحفى الشريف.. خاصة ولدينا فائض للتصرف من قضايا الفساد لو نشرت لديكم لانقطع رزق مايكل كريتون وجون جريشام وستيفن كنج وديفيد ماميت وغيرهم من كتابكم الناجحين الذين سينكشفون أنهم مصابون بأنميما حادة فى الخيال.

دعينا من قرف السياسة.. خلينا فى لفائف الساحرة.. من أين تأتين بكل هذا الجمال الذى يخجل.. عندما أخذت تتمايلين فى فستان فرحة العالى وأنت تسيرين فى ممر الكنيسة على أنغام موسيقى الزفاف الرايحة.. فى آخر الممر ينتظرك أبونا وريتشارد جير - وهل يليق بك غيره.. ولو أنى سمعت أنه شاذ ووضع مرة فأرا

الخائفات على الشرف والرغبات في الستر والبلاد التي لا أفهم حتى الآن كيف نحبها كل هذا الحب أو ربما نتصور أننا نحبها كل هذا الحب.

على الحائط تستقر صورة جميلة لك بقصة شعر قصيرة مرتuba الفتنة- لم أرها أبداً في أفلامك أو ربما رأيتها لكن شعرك الطويل محفور في وجدي أكثر- ترددت سلسلة ماسية تستقر على صدرك الممتد العاري حتى بشائر النهدين.. توجع حمرته حمالتها الفستان السوداوي بينما يشرق الكون بنور ابتسامتك التي تشعلها غمارات خديك- أتصورك بغمارات حتى لو لم يكن ذلك كذلك- قرييامن النقاء يطرك بذراعك كتبت ويا لحقارتى "إمتى ها عيش يادنيتى سنى" .. جملة قالها شاعر غلبان اسمه ابراهيم عبدالفتاح بالتأكيد يحبك وسيفرح أنتي كتب ذلك على أي حلة في جسمك لقصد في صورة جسمك.. أصفت صورتك على ورقة دشت صفراء- دشت.. هذا إسم الورق الأصفر الرخيص الذي أكتب عليه الأن- وعلى فراغ الورقة كتب بخط منمق قصيدة أزعم أنها كتبت فيكي حتى لو كان شاعرها أحمد فؤاد نجم- شاعر عظيم وفقيه من شعرائنا من المؤكد أنه كتب هذه القصيدة في واحدة جربانة في حوش قدم- تقول القصيدة .. "جوز عيون لا جوز

حاد ويرابير. ذكرني ريتشارد جير وهو يقف متصدعاً خلف سيارة النقل التي هربت فيها بنفسى عندما وقفت مثل وقوته تلك متصدعاً خلف أتوبيس ٤٠٤ - (التحرير - القلعة) الذى ركبته حبيبتي بعد أن زفت إلى خبر خطوبتها.. بعدها كنت أنا الذى أهرب عندما تأتى سيرة الزواج مع البنات اللواتى عرفتهن.. ربما لأنى اكتشفت أن أبي عندما يخرج إلى المعاش سيأخذ مكافأة قدرها ٦ ألف جنيه.. انكشف أن أقول لك أن ٧ نفوس بشرية تعيش على أمل هذه المائة ألف التعمدة.

أنا حزين يا جوليا.. لأننى ضائع مثلك.. أو هكذا أتخيلك.. وأنت تبحثين عن الحب فى أحضان كيفرساذريلاند وجاكسون باتريك ولليل لافيت وبنجامين برات.. أرأيت.. كيف أحفظ أسماء عشاقك الذين ولا تغضبي مني لمن يكون بنجامين آخرهم لأنك لست مقسمة أبداً لرجل واحد.. العدل أن تقليبي بين أحضان رجال الأرض جميعاً ليinal كل منهم حظه من السعادة الحقيقية.. أما أنا فالعدل أن أقلب بين أحضان المقاھى المسكونة بالكراهية والشوارع المزروعة حفراً ومطبات وذكريات مشى مع المحبوبة والأصدقاء المهزومين المديونين الممسوخى الأرواح والصحف المصادر والمراقبة والمرخية والبنات اللعبات فى التليفون فقط

يجمعنى بها مشهد نهاية كالذى جمعك بـ (هيوجرانت) فى فيلم (سحر الحب) والكاميرا تدور فوقكما راقصة مبتوجه بك وأنت ترقدین على حجره ببطنك المتنفسة الملائى بالحياة وهو يقرأ فى كتاب من اصدارات مكتبة الأسرة وأنتما تتشمسان على كرسى حديقة تشبه الحديقة الدولية..

أعلم أنى أطلت عليك.. سأتركك الآن منتظرا ردك وأن يجمعنا الله عزوجل بك في جنته بدلا عن الحور العين أو كواحدة منهن لكي لا يزععن. أعلم أنى سأغفل عليكى بطلبى الأخير هذا ولكن هل يمكن أن أجدى لديك إى ميل ميج رايـان.  
ثـانـك يـو.. آـى لـاف يـو.

بور سينسيـرلى (.....)

قـاهـرة اـسـمـه آـيهـ المـعـزـ لـدـينـ اللهـ  
١٩٩٩

عصافير برموش ترفرف على يطير .. وعششين على بحر كبير .. يغرق على شطه الحريف .. وأنزل على الجيد الجبار .. المفترى فرع الصبار .. وأقول له آيه آخر الأخبار .. يا مرمرى فى جنابـن الـريف .. جـنـبـنـاـ منـ سـحرـ البـستان .. بـعـدـ العـطـشـ فـكـرـ وـحـرـمانـ .. وـرـجـعـناـ نـرـسـمـ بالـأـلـوـانـ عـلـىـ كـلـ شـجـرـهـ وـلـيفـ وـولـيفـ" لو لم تفهمـ معـناـهاـ اـطـلـبـيـ منـ خـالـدـ النـبـوـيـ أـنـ يـشـرـحـهاـ لـكـ .. وـلـوـ فـشـلـ فـصـدـقـيـ وـعـهـدـ اللهـ أـنـهـ أـنـتـ التـيـ كـانـ يـكـتبـ عـنـهـ عـمـ أـحـمـدـ .. جـلـ جـمـالـكـ بـالـطـبـعـ لـاـ تـحـيطـهـ قـصـيدةـ وـلـكـ الـمـحاـولةـ مـطـلـوـبـةـ . لـعـلـمـكـ .. لـدـيـنـاـ فـيـ مـصـرـ فـتـيـاتـ أـجـمـلـ مـنـكـ .. لـكـنـ يـسـكـنـ فـيـ أـحـيـاءـ نـمـرـ عـلـيـهاـ بـالـأـتـوـبـيـسـ أـوـ التـاكـسـىـ أـوـ عـربـاتـ الـأـصـدـقـاءـ فـيـ أـحـسـنـ الـأـحـوـالـ .. وـيـلـعـبـنـ فـيـ نـوـادـىـ لـاـ تـدـخـلـهـ إـلـاـ بـتـصـرـيـحـ لـإـجـرـاءـ مـقـابـلـةـ صـحـفـيـةـ مـعـ عـضـوـ مـجـلـسـ قـيـادـةـ ثـورـةـ سـابـقـ اـنـتـهـتـ بـهـ قـيـادـةـ الثـورـةـ إـلـىـ الشـمـسـ فـيـ الـظـلـ .. جـنـبـاـ آـىـ جـنـبـ مـعـ أـعـضـاءـ مـجـالـسـ قـوـادـةـ الثـرـوـةـ ..

لـعـلـمـكـ بـقـىـ .. حـبـيـتـىـ كـانـتـ جـمـيـلـةـ مـثـلـكـ .. وـلـوـ تـمـكـيـجـ وـخـلـعـتـ الـحـجابـ لـرـبـمـاـ كـانـتـ أـجـمـلـ مـنـكـ .. لـكـنـ مـتـاعـبـ الـكـلـىـ بـهـلـتـهاـ وـلـوـ رـأـيـتـهاـ آـنـ لـمـاـ عـرـفـتـهاـ (ـبـنـاءـ عـلـىـ وـصـفـيـ لـهـ) .. تـطـلـقـتـ يـاـ عـيـنـيـ وـتـشـحـورـتـ أـحـوـلـهـاـ وـلـكـنـىـ وـلـلـعـجـبـ لـاـ زـلتـ أـحـبـهـاـ وـأـحـلـمـ بـأـنـ

---

خطاب مسجل وبعدم الوصول إلى السيدة المصونة واللزلزة بنت المكونة  
.....) محبوبتنا السابقة .. وألف شكر لرجال البريد

## بني بجم

.. مسيري في يوم ألاقيه

وتبليل دموعي إينديه

في هذه اللحظة التي أبكي فيها بدل الدموع دما.. أين أنت..  
أين أراضيك؟ هل تجلسين الآن في غرفة المعيشة "تضعين يدك  
خلف ظهرك وتشكين من آلام بطنك المتکورة، وتقولين لزوجك-  
الذى يلعب دورى لظروف إنتاجية لا علاقه لى بها- "شيف ابنك  
الشقى بيعمل ليه؟".

لم أنك تعانين الآن من مشاكل المرأة العاملة.. تسرعين في  
الصباح إلى عملك لاعنة زحمة المواصلات وقرف الوظيفة..  
ترکبیین عربتك النصف عمر دون شعبطة في الأتوبيس كننى  
ستتاليها معى مثلا كنت تقولين ساخرة حين كنا نحب بعضا  
بقوه؟. ( بالمناسبة أنا لم أعد أركب أتوبيسات أبدا الآن، أعيش منذ  
٥ سنوات فترة انتعاش طبقى لا أدرى هل تستمر؟، لكنى  
وبالمناسبة أيضا، لم أعد 'أحوش' لأبنى عشنا الصغير،  
ف"العشش" لم تعد تصلح إلا لشرب البانجو في زمن الأبراج ) .  
لم أنك عدت توا من مكتب البوسطة بعد أن أرسلت الجواب  
العاشر خلال شهر لزوجك- المقيم في الامارات ربما- تذكرينه  
بأن يعود لك في الأجازة القادمة بالمرودة للبیزر والکاسیت أو  
سي دي والفيديو "ملطى سیستم" ( بالمناسبة أنا رفضت أن أسافر  
إلى الامارات لأن الوطن لا زال يروق لى ورغم ذلك اشتريت

فيديو بالقسط غير المريح وأصبح عندي اشتراك مدى الحياة في جميع أنواع الفيديوهات المجاورة) ..

... ألم ... هل خانك التوفيق في تجربتك الأولى .. هل تجلسين الآن في غرفتك الضيقة في بيت أهلك ' مفتوحة الكتاب محسوفة الجواب ' .. تخرجين من كرتونة تحت الدوّاب رسائل القديمة وقصائدى التى كنت أتصورها شعراً ذا مستوى .. وتقولين لنفسك بأسى " خلاص راح ولن يعود مهما استرحمت نفقات قلبي .. فأنا الذى بدأ الملامة والصدودا .. ولن يعودا ..".

وحينما سأعود زاحفاً وباكياً ومقبلاً للأرض لو أردت .. فأنا من بنى بجم الذين لا يعتبرون ولا يتعظون ولا يقادون يفهون حدثاً. لست أدرى أين أنت الآن بالذات في هذه اللحظة التي أبكي فيها بسدى الدموع دماً؟ لكنني أدرى ومتأند تماماً أنك لا تبكين أبداً. لو كنت تعرفين البكاء لكنت إلى جواري الآن ..

شارع ضريح سعد زغلول

١٩٩٦

\* صورة طبق الأصل من أوراق ملف قضية حقيقة حدثت بمحاذيرها في صيف عام ٢٠١٠ عندما قررت الحكومة أن تعيد تربية المواطن عامر بتاع السنترال

لا لشى سوى أنه قام بالالتزام بتعليمات الهيئة وتكسير كلام أيمن بك "

## خلاف حميم في وجهات النظر بين الحكومة وعامر بتاع السنترال!

"آدى الحقيقة رآدى اللي طالبها

واخنق تاه في الباطل البطل

وقلوبنا تاهت عن محبيها

وآدى نجومنا بعيدة ما تطالع"

بسم الله الرحمن الرحيم

**السيد الأستاذ العظيم/ بكرى بكرى المصرى المحامى**

تحية طيبة لسيادتكم وبعد:-

كنت فى ورديتى يوم الأحد الموافق ٢٠١٠/٤/٧ حيث أعمل موظفاً فى سنترال محطة الرمل، كانت الساعة العاشرة والنصف ليلاً وكان يوجد زحام شديد بالسنترال حيث موسم الصيف، وكانت الكائن كلها مشغولة، ودخل على شاب طويل قاسى الملائم معه فتاة شقراء ويحمل طبنجه فى خصره بشكل ملحوظ، وقال لي:-  
إنت يا ابنى عايزيين نكلم مصر، قلت له "حاضر" وأخذت الرقم بلوحة التجارب الخاصة بالمحالفات، وطلبت منه الجلوس فرفض، وأثناء النقاشه رفع هذا الرجل صوته، وخرج فرد من احدى الكائن لكي تتفض المشكلة ويدخل سيادته، لكن طلب منى هذا الرجل فتح خط لتجربة الرقم بمعرفته، فأفهمنه أن هذا ممنوع طبقاً لقانون الهيئة، فطلب أن يتكلم مع الرقم المطلوب من السويفش، طلبت منه دخول الكابينة فرفض فالحاجت عليه فطلب من الفتاة

الموجودة معه دخول الكابينة ووقف أمامي وأنا أجري الرقم وطلبت الرقم ووجده مشغولاً فأخذ الفتاة وخرج وقال لي:- لازم وحياة أمى أربىك، ووقف أمام السنترال بالخارج وسب وشتم بالعن الألفاظ، وتتساءلت أنا المشكلة بعد أن مشى، ومررت الوردية سلام.

جوه المحضر، كل اللي لاحظته هو كلمة (اعتراض أنتى) وكلمة (ضبطه) عليها دائرة زرقاء، وب مجرد ما وقعت وقعت في الفخ، طلب الضابط مخبر وقال له أعمل زي ما قلت لك، وب مجرد نزولى إلى أسفل وجدت مساعد أول في انتظارى أخذ يدى بعنف وأدخلنى أوده الفيش ولقيت ٣ فيش أصلى في انتظارى جاهزين من كل البيانات، خذ المساعد يدى مع العسكري وأبصمونى بالقوة، ثم قادونى إلى حجرة المأمور ووضعوا الحديد فى يدى وهو به سحبونى على وكيل النيابة وعندما دخلت على سيادته نظر إلى متخصصا وقال لي إسمك ايه فقلت له البيانات وقبل أن أكمل قال لي أنا عارف إن انت هتجينى من امبارح، مش بت عامر السيد بنات السنترال، فقلت له: نعم، فقال لي: ايه يا ابنى انت فاتح السنترال ملاكي، حكت له ما حدث، وكان سيادته ذوق جداً فقال لي: بص يا عامر لو كنت جاي في خناقه كان أهون، المحضر معمول لك ده محضر ثقيل لكن يعني على العموم أن هاسيبك عشان انت باین عليك غلبان وياريت ما شوفش وشك هنا تانى، وأشار بالانصراف، بعدها أخذتى الحرس تانى إلى القسم بعد أن فرجوا على أمة لا إله إلا الله وأصبحت كالأراجوز الذى ينظر إليه الكل وبعد ذهابى إلى القسم أدخلونى الزنزانه، وبعد فترة طلبنى الملازم ولقيت فيشا آخر وشد سيادته اصبعى

في الساعة ٧:٣٠ صباحاً جاء إلى أمين شرطة إسمه على عزت ومعه جندى بصفة ودية، فقلت له أعملك شاي فقال لأنا هشرب السيجارة دي وهمشى، وعندما سلمت الوردية الساعة ٨ صباحاً يوم ٢٠١٠/٤/٨ خرجت من السنترال وب مجرد خروجي من باب السنترال ألقى هذا الأمين القبض على ومعه رجال المباحث وأخذونى أخذ عزيز مقتدر، وحملونى إلى وحدة المباحث، وهناك وجدت الملازم أول حمدان ماهر حيث كان في انتظارى محضر جاهز ينقصه الإمضاء فقط فهدىنى حضرة الضابط بأن عدم إمضائى سوف يكون معناه قضية إضافية، واستدعاى شاب موجود رفض أن يوقع مثلى على محضر آخر، فضربوه أمامى حتى سال الدم من فمه وأنفه واضطر أن يوقع، فلما رأيت ذلك زاد إصرارى على الرفض، فأخرج لى كيس بانجو ومطواتين قرن غزال، فلما رفضت ثانية وزاد إصرارى كاد أن يعمل بها حرز لولا خوفى من الموقف فاضطررت إلى الإمضاء دون علمى باللى

غلطت فيه، يمكن مع ضغطة الشغل والحر والرطوبة عاملته عادي. بريق ناشف جايز زى ما باعمل مع كل الناس، المهم حطوا فى يدى الحديد تانى لغاية ما عدت الساعة ٩,٣٠ بالليل، عندما أحدثت صجة أرسلونى فى جولة على كام قسم كده وبعدين رجعونى إلى مديرية لعلى بك عبد الكريم فى مباحث الأداب، ضرب الجرس وطلب فرد يرتدى ملابس مدنية وأخذنى مع العسكرى إلى تزييف العملة والأموال العامة تانى ثم أخذونى إلى حجرة حيث وجدت دوسيه أصغر مكتوب عليه كل بياناته من الأم والأب وحتى الإخوة ما عدا أسماءهم قضية وطلبو مني أملاً أسماء عيلتى، اعترضت فهددونى بأنى هالبس قضية، ومن خوفى أعطيته أسماء وبيانات وهمية وبعدها سلمونى إلى عسكري تانى حيث عمل لي كارت أصفر عريض فى قسم المعلومات الجنائية حيث وجدت الجميع ينتظرنى وبعدها أدخلونى على السيد المقدم محمود خفاجى، وعندما رأى أحمر وجهه وتحركت ودائه وقال لي أهلا يا عامر يا حبيبي تعالى، وكانت قد دخلت إليه فى وردته فى الفترة الصباحية وحكيت له ما حدث، وفوجئت أن موقفه تغير ولم يعد متواطضاً معي كما كان، وعرفت أنه تلقى اتصالات من كذا باشا يطالبون برباته خاصة أيام بيته الذى كان فى السنترال، والذي عرفت من العسكر أنه تم نقله إلى مباحث التموين حيث

الابهام ووضعه على الفيش وأخذونى ثانية، ثم بعد برهة أرسلوني إلى مديرية الأمن مع جواب توصية ومجموعة أوراق تودى فى داهية، أدخلونى أولاً للكشف على فى قسم تزييف العملة ثم الأموال العامة ثم إلى مباحث الأداب، كنت ما أزال متاثراً من الشتيمة التى وجهاها لي ضابط فى الأموال العامة، ابتسم على بك عبد الكريم رئيس مباحث الأداب لما قلت له يا سيدى أنا لم أفعل شيئاً وشتمونى، قال لي: مش انت عامر بتاع السنترال، حكىتك له كل اللي حصل، قال لي: سيبك من المحضر ده ورمى المحضر، وقال لي: ده بذات اسكندرية اللي بيتجى السنترال كلها بشكى منه وبنطلب منهم يعملوا لك محاضر ما بيرضوش.. إيه رأيك، فجأة طلبه ملازم مش فاكر إسمه من قسم تانى، قال له: آه.. كل شيء تمام.. وصل آه، وطلب مني الخروج، وخرجت لكنى من بره سمعت ضحكته وهو بيقول : طبعاً هنربه.. إنت تؤمر يا عسل، بعدها نادى على العسكرى وأعطه ورقة ولذا هي بها العرض فى الفترة المسائية على جميع الأقسام، ورحلونى على القسم اللي فيه الملازم اللي انكلم فى التليفون واللى طلع إسمه هانى، دخلونى الحجز ونزل لي الملازم وقال لي: يعني لازم تزعل النقيب أيمان بيته قدام خطيبته، وقتها بس عرفت سر اللي حصل لي وإن اللي لـا منبهـل عـشـانـه كان ضـابـطـ وـالـهـ العـظـيمـ تـلـانـهـ وـحـيـاةـ وـلـادـىـ ما

ما أقفل المماعة في وشك، وبعدما قفل قال لي : ده انت وقعت  
وقيه سودا .. يالله روح ربنا معاك. وأمر انهم يبعثونى للقسم  
علشان يفرجوا عنى.. فى القسم وجدهه خاليا إلا من رئيس  
المباحث الذى كان فى انتظارى الذى نظر لى نظرة جعلنى أشعر  
وكأى لا شيء، وقال لى خليك معانا لبكره لأن المأمور راح  
الاستراحة وفضلت فى القسم حتى أخلى سبيلى بعد أن هددوني.  
وعدت بعد عشرة أيام ليحقق معى السيد مفتش الداخلية، وبعدها  
بيوم حقق معى العميد عادل عبد الصمد. وحتى لحظة كتابتى لهذه  
السطور لم تستجب المصلحة لنقلى من السنترال حيث أ تعرض  
للتهديدات.  
وإلى الآن أشعر أنى أعيش فى رعب وأننى قضى على مستقبلى.  
والله يعلم أنى برىء.

مقدمه لسيادتكم  
عامر السيد كامل  
موظف بسنترال الرمل ومقيم  
شارع العبور  
بطاقه شخصية رقم  
٣٨٤٥٥٠

[ 73 ]

أنه كان فى المباحث العامة وتم نقله لسوء سلوكه واستخدام العنف  
مع المدنيين، المهم التوصيات جاءت بالخير حيث تلقاني محمود  
بيه بوابل من الشتائم والرذائل وضربني فى صدرى بيده وهددنى،  
وقال لى انت معمول لك محضر اتحال شخصية ضابط شرطة  
فى قسم العامرية، وأقسمت أنتى لم أفعل، فطلب لى كل الأقسام  
للبحث عن أى شيء لى وبعدها أشبعنى شتائم وقال لى: أصورك  
دلوقتى يا (...) أمك يا ابن (...). ونظرت إليه فى عينه وأحسست  
أنه يشعر بأننى مظلوم، فقال لى مرتبك : أنا مش هاكتب رجالاتى  
وأصدقاك أنت ، فقلت له : فعلا وأنا مهما قلت برضه هاكون  
غلطان، وسكت، وبعدها دخلوا أمامى شاب صغير وضربوه  
ضربا مبرحا وقال لى : شفت .. الحرامي ده أنضف منه .

سكت نهائيا وأخذنى وخرج، وراح هو وشويه ضباط على أودة  
على بك وأعطانى على بك ورقة لأعطيها للعسكرى وقال لى : لو  
شفتك هنا تانى هاخرب بيتك وخلى بالك أنا ممكن أجيبك تانى .  
ورحلونى إلى قسم مكافحة المخدرات حيث شاء القدر إلا يكون  
هناك الضابط المناوب الذى توقعته، حيث غاب فجأة، الضابط  
الموجود سمع حكايتى وفي وسطها جاله تليفون ، قلت بس كملت  
واتخزوقت يا عامر، لكن سبحان الله فجأة لقيته ثار وشتم اللئى  
بيكلمه وقال له : يا أخي أهـ.. أنا ما اعرفش أظلم حد.. اقفل قبل

[ 72 ]

بالم المناسبة باسم الفتاة التي اتهموني بها بالكامل هذه حسني على  
الأنصارى طالبة بكلية التربية الفرقة الثالثة شعبة صناعية قسم  
نسيج وعنوانها ٦٥ ش وابور الحطب الساحل شبرا ورقم  
المحضر ٣١٨ جنح آداب اعتراض لشى.

واسم الضابط الذى بهدلى النقيب أيمان عبد الرحيم وهو حاليا فى  
القاهرة يحضر دراسات عليا فى كلية الحقوق .

تليفون والدة الفتاة بالقاهرة ٧٩٦٠٥٣٩

ملاحظة أخرى: حسبي الله ونعم الوكيل.

وأملنى أن تكونوا سعادتكم سبا فى إنصافى أو حتى فى عدم  
تعرض لمزيد من البهيمة، واعدكم أنتى سأخذ كل الزبائن  
بالأحسان حتى لو ضربونى على قفايا ولن التزم بأى تعليمات  
من تعليمات الهيئة وأن اربط الحمار مطرح ما يعوز الحمار ..

## الموت على ارتفاع منخفض

شارع سعد زغلول

١٩٩٩

"مانقلند امرؤ قلادة خيرا من سكينة"

لم يكن النوم قد غلبني بعد، رغم أن الوقت قد جاوز الفجر بكثير. فتحت "شيش" البلاكونة محدثاً صحة في نصف السكون المحيط. لم تكن الشمس قد اكتمل إشرافها.. لكن النور كان قد بسط بهجهة على الحارة وما حولها. هزنتي نسائم الصباح فملت بجسدي على حاجز البلاكونة مسندًا قدمي إلى قضبانها الحديدية.

استدرت عائداً إلى الغرفة.. أحضرت "الووكمان" أو التسجيل أبو سمعاء كما أحب أمي أن تدعوه.. وضعت السماعة في أذني وأدرت شريطاً لـ محمد منير.. طربت وأخذت أتمايل غارقاً في تفاصيل الأوركسترا الصباحية التي تعزفها حارة سمكة كل صباح.

وجوه الأطفال المحمرة بفعل هواء الصباح البارد، أعينهم التي لم يمح الماء والصابون أثر "عماص" الأحلام منها، أياديهم القابضة على أكياس السنديونات التي تضيق حقائبهم الصغيرة الرثة عن حمله خوفاً من ثلوث الكراريس.. خطى بعضهم متثاقلة

نبي ينصب فيها عربته قبل أن يفتحها الله في وجهه ويفتح دكان  
لو دخلها مصور بجريدة لأن ذلك حدثاً مشهوداً في تاريخها.  
روح لأم راوية - يقول عم محمود فاقداً أم راوية موزحة  
الحارة - وسألها .. عمر مصور دخل حارة الشيخ سالم، واقطع  
باتاعي لو قالت لك حصل.. الصورة يابني مضروبة - يواصل عم  
محمود في حراره - ثم مال الفول وما صور الرويسا.. أنا  
شخصياً عندي صورة مع عبدالناصر .. وأظن ده ما حدش يقدر  
ينكر إنه كان بيتصور مع اللي يسوى واللي ما يسواش.. تسائلني  
ليه ما أعلقهاش في المحل.. أقول لك ابقى بقل من قيمتي ومن  
قيمة الرئيس عبد الناصر .. كنت أعلق صورته الله يرحمه لو كنت  
جزار ولا حلواني.. حاجة تلبيق بمقامه.. مش محل فول.. عيب  
يابني.. أنا بفهم في الأصول.. وبعدين نبوى ده نخيع وابن  
وسخة.. عشان شايف الزمن ده زمن السيدات ورجالاته.. مأكل  
دول كانوا رجالة المرحوم.. عشان كده معلق صورته مع  
السيدات.. إنما أنا أعلق صورة عبدالناصر دلوقتى عشان لازبائن  
يأكلوا ضرب على قفاهم بدل ما يأكلوا فول.. إوعى تفكير إبني  
باكره السيدات.. كان حبيبي ومحمد نجيب حبيبي.. بس انت

وخطى البعض الآخر فرحة متلهفة ليوم صاحب.. بعضهم يسير  
بصحبة أمه تجره وراءها وهي تلقى نظرات سريعة على  
هندامه.. ربما تمتزج بها لتعيد خصلة شاردة أو تشذ ببطالة متهدلاً  
لكن تعجلها لا يلقي ترحيباً أو تجاوباً.. البعض الآخر يفرغ طاقته  
البكر في ركل أحجار الطريق ونصب الكمان المتقنة لقطط  
النسائية .. صوت ماكينة الطعمية يهدر من محل 'عم نبوى' الذي  
لم يستقبل كل زبائنه بعد..

يدعى عم نبوى دائماً أنه أحسن صناعي فول في مصر حسبما  
شهد له أنور السادات - الذي أصبح بعد سنوات طويلة من  
شهادته لعم نبوى - حاكماً لمصر ..

يقول لك عم نبوى ذلك إذا كنت زبونا جديداً وهو يشير إلى  
الحاطئ خلفه حيث علقت صورة له مع السيدات الذي لم يكن وقت  
التقط الصورة من أشياء ١٠ رجال في العالم. عم محمود صاحب  
محل الفول المنافس في الطرف الآخر من الحارة يزعم أن قصة  
عم نبوى مكتوبة من ساسها لرأسها، لأنه إذا كان السيدات وقتها  
فسلاماً لا أهمية له فيما الذي دعاه للتصوير مع نبوى - يقولها من  
غير لقب عم - أو بمعنى أصح لماذا تحمس نبوى للتصوير معه،  
ومن أين جاء المصور أساساً، خاصة أن حارة سمكة التي كان

-إِصْبَاحُ الْخَيْرُ يَا عَزَّةً.. هِيَ الْمَسَاعَةُ كَامٌ.  
-اَتَأْخُرُنَا يَا حَبِيبَتِي.. بَقْتُ سَتَةً وَنَصًّا.. إِبْقَى حَصَلَيْتِي.  
-مَاشِي يَا يَاسِمِينٍ.. مُتَشَكِّرَةٌ قَوِيَّةٌ.  
كل يوم تبدو جميلة عيونها النصف يقطة وهي تغلق النافذة،  
حولت نظري إلى قفص الطيور الكبير المثبت في balkone  
المواجهة أسفل بيت ياسمين .. شغوف أنا بالنظر من خلال نقوب  
السلك المعدني الصدئة إلى البيغاوات الثلاثة الذهبية التي تسكنها.  
تبعد لى جميلة النقاط الخضراء التي تملأ رؤوسها وأجنحتها ربما  
خدعني للنظر فقد لا تكون النقاط خضراء لكن المؤكد أن  
البيغاوات ذهبية. كان اختيارها الصاحب في القفص مثيراً للبهجة.  
لم تكن أصواتها جميلة لكنها كانت تبدو متزاغمة نوعاً ما مع  
زفرقة العصافير وهديل الحمام وهدير ماكينة الطعمية وصباح  
الديكة التي افتتحت أوركسترا الصباح منذ ما قبل طلوع الفجر  
مستلمة وردية العمل من الكلاب النابحة طول الليل.  
حط على حافة balkone قريباً من القفص عصفوران رماديان -  
منظرهما البائس وخبرتى في التعرف على القراء يؤكدان  
جوعهما منذ أمد بعيد - اقترب أضالهما من القفص في فرات  
هادئه. غره وقوف البيغاوات على أعمدة خشبية مثبتة في أعلى

عارف إحنا ماكاش يدفع لنا غير الملك فاروق.. إحنا ناس ولاد  
كلب".

لا تجرؤ طبعاً أن تردد اتهامات عم محمود على مسمع من عم  
نبي أو حتى تثير تساؤلاً حول ما إذا كانت الصورة "مضروبة"  
لأنك أنت الذي ستخرج "مضروباً" بمعرفة الفول.

أخرجني صوت عزة من "سرحانى" مع السيدات وعم نبوى وعم  
محمود.. صباح كل يوم يخرجنى صوت عزة من "سرحانى" مع  
أحد.. تأتي مسرعة من آخر الحارة بسنواتها السبع العجاف  
وبزيتها المدرسي الكطى تستحدث أخاها حسن الذى يسير خلفها  
متباطنا يجرجر حقيبته التى بهتت ألوان العلم الأمريكى المطبوع  
عليها. تقف أمام المنزل المجاور لمنزلنا. تضغط الجرس الأحمر  
الصغير. ثم ترفع رأسها إلى نوافذ المنزل. لا يظهر أحد. تواصل  
ضغطها على الجرس متقلمة. تأخذ في النداء بصوت حاد متوج  
"ياسميين" عندما تيأس من مفعول الجرس.

من نافذة الدور الثالث تطل ياسمين بقميصها الوردى وجسدها  
الضئيل. مفارقة النوم بصعوبة. تشير مرحة بيده وتفرك عينيها  
بالأخرى.

-صباح الخير يا ياسمين.

عبد الواحد عدو الله كما كانا نسميه.. مولولة متشحفة منعكشة داعية على أختها ومستجدة بها وشائمة زوجها الذي أوغر صدرها على أبيها وفرق بينها وبينه.. ماهي إلا لحظات وانبرت لها أختها مولولة متشحفة تتكش شعرها وتشق هدومنها وتندعو على زوجها الذي أوغر صدرها على أبيها وفرق بينها وبينه عشان يستفرد بيها ويكون على فلوسها وذهبها.. بمجرد أن وصلت إصلاح إلى أختها فاجأتها أختها بأن رفعتها (قلم) سمعت الحارة كلها صوته مجسما.. لم يكن وقت مثل هذا جديرا بقلم مثل هذا .. لكن إصلاح تقبلته في صمت ربما لعلها تعلم يقينا داخلها أنها تستحقه لسبب ما لا يعلمه إلا الله وهي وأختها وربما أبوهما رحمة الله وربما أمهما ربنا يديها الصحة وربما آخرون لا يعلمهم إلا الله.. دون أن تمر فترة زمنية كافية لاستيعاب القلم الذي أكلته إصلاح على خلفتها ارتمت أختها في حضنها وأخذتنا تتمر معان في أحزانهما سوية.. بعد قليل خرج عبد الواحد ينفض عن وجهه آثار الصباح الأغبر يحاول أن يبدو حزينا ويرفع صوته بما يقال عادة في مناسبات كهذه محاولا أن يعلو صوته على صوت اعتدال التي تلعن سنسف ile وسنسف il جدوده الأوساخ.

الفقص الواسع. طار متعلقا بالحافة السفلية للقصص. بعد ثوان لحفيه رفيقه. طمانهما سكون البيرغواط اللواتي شغلنه تنظيف ريشهن - جزمت من فترة أنهن إناث.. ربما لجماليهن الزائد عن الحد - أخذ العصفوران يستقران الحب المتناثر على أطراف أرضية الفقص بينما يتارجح جسداهما بخفة وبهلوانية مؤديان وضعيا يعجز عن أدائه عناولة السيرك القومي بالعجزة.. لم يكادا يهنتان بابتلاع حبة أو حبتين حتى انقضت عليهما البيرغواط الثلاث ينفرنهما بوحشية في ماتيسر من جسديهما.. صمد العصفوران لوهلة محاولين تكبد عناء النفر ومواصلين تناول طعاميهما.. لكن نفرتين في عيني كل منهما أطاحت بهما بعيدا عن الفقص مصدرين صحة ألم - هكذا أظنها فقد كانت المرة الأولى التي أسمع فيها صوتا كهذا يصدر عن طير - .. اختل توازن العصفورين المسكينين وتارجا في انهواء قبل أن يستعيدا ذاتيهما كعصفورين ويطيران بخفة مستقرين فوق سور البلكونة المواجهة للقصص.. "الحيني يا إصلاح.. أبويا مات يا إصلاح.. مات وقلبه غضبان عليكى يا واطية" .. هكذا جاء صوتها يسبقها داخلا إلى الحارة حاملا مزيجا من الحزن والتشفي والاحتياج للمشاركة.. من بعده دخلت إلى الحارة اعتدال أخت زوجة صاحب شقتنا عبد الواحد أو

قوياً أنا الذي تفصلني عن القفص أمتار .. فما بالك لو وقعت هذه الضربات على قليل من اللحم المكسو بالريش .. أستطيع أن أجرم دون حاجة للتمعن أن ماظنته دما يسيل من العصافورين الذين عجزاً عن الإحتمال وابتعداً عن القفص .. هو دم بالفعل.

صوت ماكينة الطعمية أصبح الآن أضعف بعد أن غطت عليه أصوات نواح اعتدال وإصلاح وابتهالات عبد الواحد عدو الله لربه بأن يرحم الفقيد الذي اخطف .. بين الحين والأخر ومن بلونة هنا وشباك هناك تأتي تعزية أو مواساة أو صوبيط مجاملة أو دعوة بالرحمة أو سؤال عن موعد صلاة الجنازة ومكان العزاء..

فجأة خرجت أم عبير من باب العقار – أحسب أن هذه الكلمة تكون الأصدق حالاً في وصفه فالذي نسكنه ليس عمارة ولا بيتاً.. هو ربك والحق خطأ معماري شنيع لا يمكن المداراة عليه إلا بوصفه بالعقار – .. لاتستهن بي عندما أقطع لك الحكاية بهذه الجملة (فجأة خرجت أم عبير ..) .. لاتقل لي ومن هي أم عبير هذه التي تستحق هذا الدخول الملحمي .. في حارة سمكة لا يعذر المرء بجهله خصوصاً إذا تعلق الأمر بأم عبير التي يحسب الجميع لها ألف حساب لأسباب عديدة على رأسها أو أهمها أو

بعد لحظات من شحد الهم عاد العصافوران الفقيران للانقضاض على القفص .. مستغلين ماظنه خمولاً من البيغاوات الثلاث اللواتي توقفن للحظات عن الأكل .. ربما ظن العصافوران المسكينان هذا التوقف شيئاً لكنه لم يكن كذلك .. أو لعل هذا ماأدركاه عندما انقضت عليهم البيغاوات بشراسة أعنى هذه المرة .. لم يكن لهذه الشراسة مبرر بعد كل ماأكلته البيغاوات من أكل هو بالتأكيد زائد عن حاجتهن .. خاصة أن كل مكان العصافوران سيصلان إليه بمنقاريهما الضئيلين لا يتتجاوز حبات قليلات يمكن عدها على أصابع أرجل البيغاوات .. هي الحبات التي استقرت على حافة القفص الخشبي العريض.. كان واضحاً لكل ذي عينين أن الموضوع لا علاقة له بالأكل أو الجوع أو الشبع .. هناك ضديات تكثفها البيغاوات لهذين العصافورين المسكينين .. ضديات فلسفية لا يمكن فهمها إلا من خلال تقصص شخصية بيغاء محبوس في قفص لفترة طويلة ينظر إلى عصافور طليق يسعى في مناكب السماوات .. الجوع الكافر هو الذي خيل للعصافورين المسكينين أنهما يمكن لهما أن يتحملوا ضربات مناقير البيغاوات التي لم أكن محتاجاً لأن أكون عصافوراً لأدرك مدى إيلامها .. فصوت هذه المناقير عندما يضرب في خشب أرضية القفص يصلني وأضحا

الخراتيت البشرية جمالاً - ومن خلفهما المنجد الذي يحمل مرتبة قطنية لم يسعفه الوقت لكي ينتهي من إنجازها بالأمس ولم يعد أمامه من بد سوى أن ينتهي منها اليوم طبقاً لـ "الإسكيديوال" الموضوع له من أم عبير التي لن تسمح لأمثاله بأن يعطل ولو للحظة ترتيبات استعدادها لزفاف ابنتهما التي سيفك الله عقدتها أخيراً بعد أن وجدت الكمال اللذين يقدر فولتها المسوسة حق قدرها.

زغرت أم عبير للثلاثي الحزين الذي يكاد يسد مدخل باب العقار حيث من المفترض أن تجري مراسم اكتمال عملية التجديد للمرتبة التي من المفترض أن تصال عبير متعتها عليها عما قريب .. تحاشى الثلاثي الحزين النظر إليها انتظاراً لجملة مواساة تأتي منها تكون مدخلاً لحدث ما يعلم الله ماسيائي فيه .. من شباب هنا وبكونة هناك تأتي الآن عبارات تحية تصبح بالخير على أم عبير وتسأل الله بأن يتم لبنتها عروسة الحنة بألف خير ويسعد أيامها .. ترد أم عبير بهزات مجاملة من رأسها وهي تواصل زغرتها لعبد الواحد واله .. ربما ترى أن زغرتها لانتسق مع وضعها الطبعي كمستأجرة في عقار عبد الواحد .. ولكن من قال أن قوانين العلاقة بين المالك والمستأجر تعني شيئاً لأم عبير التي

لعله السبب الوحيد أن لها شخراً تدخل الرهبة في النفوس .. لاتساني كيف لأنني سأقول لك أنها شخراً لا يمكن تجسيدها في كلمات قليلة .. ينبغي لك أن تسمعها لكي تتبنّى أثرها المعنوي الذي يداعغ أجدعها شعب ويجعله يفكّر ألف مرة قبل أن يرد على أم عبير أو يدوس لها على طرف .. ذكر هنا أن أحد شباب الحي قال لي يوماً ونحن نجلس على القهوة نرافق خناقة من خنافس أم عبير أنه يتعجب كيف أن الدولة لم تتنبه خلال الحروب الماضية التي خضناها مع إسرائيل إلى أهمية حجرة أم عبير كسلاح معنوي كان من الممكن أن يكون أجدى لنا من صوت أحمد سعيد وأغنية أصبح عندي الآن بندقية .. لم يكن يتربّق بالمناسبة بل كان له خطة متكاملة للأمر هي أن تخصص إذاعة موجهة إلى جنود العدو - باعتبار مكان - تذيع شخراً أم عبير بتنوعات مختلفة وبتونات صوتية مختلفة طيلة فترة البث .. وابقى قابلني لو استطاع أحدهم أن يصمد لأكثر من يوم دون أن ينهار ويطلب العودة إلى موطنـه الأصلي تاركاً أرض الأجداد للأحفاد.

لاتقل لي أن هذا ليس موضوعنا الآن .. بالعكس كان يجب أن أستطرد لك في شرح الأمر لكي تكون في صورة الحدث الذي سيحدث بعد قليل .. خرجت أم عبير ومن خلفها عبير - أكثر

تمتلك قانونها الخاص الذي أجملته ذات يوم بعبارتها الخالدة "إن عشت هاذلكو وإن مت الله يسهل لكو".

فجأة ودون سابق إنذار قصفت أم عبير تلك الحزانى التي تهدد يوم ابنتها السعيد بالفال الوحش "مخلص بقى ياعبد الواحد .. هو موال ولا موال .. بقى لكو نص ساعة بتبربروا وتندوا على الرجال اللي كنتو بتطلعلو ميتين أهله كل يوم .. الحزن في القلب يامرة منك ليها .. حبكت يعني تقلبوها مناحة لما جينا نفرح .... لو حارفكو قوي المرحوم روحوا الطموا وشنشنوا هناك تحت بيته.. ياشه ماتنكدوش على بنتي وخلوا يومكو الخرا ده يعدي" .. ربما رد عبد الواحد هو وزوجته وأختها على هجوم أم عبير البربرى الغاشم لكنه بالتأكيد كان رداً أقرب إلى الهميمة لم يسمعه أحد من الواقفين في شباك هنا أو بلكونة هناك وبالتأكيد لم تسمعه أم عبير التي لا تبعد عنهم أكثر من سنتيمترات، أغلب الظن أنه كان ردًا بالنية وإنما الأعمال بالنيات.. على أي حال عبد الواحد عدو الله وأهل بيته إن لم يكن لديهم القدر الكافي من الحكمة لكي يمتنعوا عن الرد على أم عبير فلديهم بالتأكيد القدر الكافي من الهم الذي لا يريدون أن تشريه أم عبير لهم.. لذلك فقد اختنعوا تدريجياً من الحرارة كأنهم اتخذوا قرار الانصراف إلى بيت المرحوم

بمحض إرادتهم متجاهلين أم عبير تماماً ومتعاملين معها بوصفها كارثة طبيعية لاسبيل لدرئها أو حتى الإعتراض عليها أو لاسمح الله السؤال عن حكمة وقوعها لأن ذلك يدخل في باب الكفر الذي لا يرتكبه أناس مؤمنون مطلقاً.

كان حواراً طويلاً انتهى للتو بين العصفورين المسكينين .. لأعلم منطق الطير لكنني أستطيع أن أجزم بأن حواراً ساخناً واحداً كان يجري بينهما .. ومن خلال موقعي أستطيع أن أؤكد أيضاً أن الصوت الأعلى في الحوار كان للعصفور الأضال حجماً وأكثر تضرراً من جراح المعركة .. شيئاً ما في عينيه يبتهلي أنه يعد لشيء وأنه لا يعتبر أن المعركة انتهت .. وهو مأمين إلى أن للعصفور الأكبر حجماً والأقل تضرراً من جراح المعركة يساطر فيه للبيغاوات الثلاث التي تملأ القفص ضجيجاً واختيالاً وزهواً بما تعتبره نصراً حتى ولو كان على عدو لا يمتلك قوة تذكر.

بعد صمت قصير عاد العصفور الأضال إلى رفع صوته على رفيقه الذي اكتفى بالصمت ثم أصدر صوتاً خفيضاً غير مفهوم شمعت منه رائحة النصيحة.. لم ينتظر العصفور الأضال حتى ينتهي رفيقه الحكيم من إكمال حديثه .. اندفع كالسهم إلى القفص مستغلاً انشغال البيغاوات الثلاث في الرفرفة بأجنحتها في سماء

الفرصة كانت سانحة له، في أسوأ الأحوال كان سيطوله منقار أو اثنين قبل أن يسارع بالهرب مكتفياً بالقليل الذي ذابه ومؤجلاً الباقى لفرصة أخرى ربما تأتى بعملية جريئة أخرى، لكنه لم يفعل واستمر في نقر الحب وتناوله بنهم لا يتاسب مع الخطر الذى لم يعد يحذق به بل حل به بالفعل، كان حجم مناقير البيغاوات يسمح لهن بتوجيه ضربات محكمة للمسكين من خلال الثقوب الواسعة للشبكة المعدنية التي تحيط بالفقس، لا أستطيع أن أصفه بأنه بدا مستسلماً لهن كما قد يخيل لبعضكم من حديثي فهو لم يتوقف ولو للحظة عن الاستمرار في نقر الحب وأكله وهو ما كان يزيد البيغاوات شراسة وسعراً وإصراراً على الفتك به وهو مستمر فيما يفعله دون أن يحاول الإفلات أو التراجع ودون أن يصدر أصوات تاؤه، الغريب الذي أقسم بالله العلي العظيم عليه أنه كان في وسط كل هذه المعركة الشرسه يغدو بأصوات لم أسمع لجمالها مثيلاً على كثرة ما سمعت من أصوات تغريد الطيور سواء مكان منها وجهاً لوجه أو عبر وسيط مسموع أو مرئي، كان صوته الساحر يغطي على أصواتهن الغاضبة التي صاحبت عقابهن الوحشى له، لم يكن بيدي مأفعله له، كنت أتمنى أن تكون لدى القدرة على أن أطير صوب الفقس لكي أخلصه من براثنهم

الفقس .. ما إن تعلقت قدماه بطرف الفقس حتى قام بسرعة بمحاولة لتحقيق التوازن لجسده الضئيل لكي لا يتارجح في الهواء عبثاً وأخذ يسد ضربات خاطفة بمنقاره للحبوب التي زاد تناولها على طرف الفقس بسبب الحركة الدائمة للبيغاوات والتي نثرت محتويات طبق الحبوب في أرضية الفقس .. بدا للحظات أنه يحقق تقدماً كاسحاً لم يمنع قلبه الطيب من أن يحثه على النظر إلى رفيقه الذي أثر السلامة ليشجعه بصيحة غير محسوبة على الإنضمام إليه لكي ينوله من الحب جانب، وهو ما أفلح فيه بالفعل حيث بدأ رفيقه في الاستعداد للحركة ليلحق بصاحبه عليه ينول شيئاً يخفف عذابه الذي زاد بعد التقدم الشجاع لرفيقه في أرض العدو، فجأة تبدل سير المعركة، فصيحة الجدعة التي أطلقها العصفور الشجاع أخرجت البيغاوات من غفلتهن .. فجأة نظرن إلى أسفل الفقس لتدركن فداحة الاختراق الذي نجح هذا العدو الضئيل في تحقيقه، جاء ردهن لحظياً وفانكاً، شراسته كانت بدائية فهي رد فعل على خيبة أملهن في نصر ظننه قد تحقق لهن فجأة هذا الضئيل ليكتبه بوجوده الوقع داخل حدودهن، انقضضن عليه بكل مأولتين من قوة وكأنه صار رمزاً تجسدت فيه كل مخاوفهن وألامهن، الغريب أنه لم يسارع بالهرب برغم أن

ناصعاً، هل تصدقونني لو قلت لكم أن صوت ارتطام جسده بالمرتبة كان مخيفاً لدرجة أن الحرارة كلها توقفت عن الحركة، حتى ماكينة الطعمية توقفت، أقسم لكم أنها توقفت لثوانٍ. هي نفسها الثواني التي صمتت فيها أم عبر حتى تستوعب ماحدث، هي نفسها الثواني التي صمتت فيها البيغاوات قبل أن تعود لإصدار أصوات النشوة والإبتهاج، هي نفسها الثواني التي صمت فيها العصفور النذل مذهولاً قبل أن يصدر أصواتاً لا يحتاج أي شخص حتى لو لم يعلم منطق الطير أن يدرك أنها أصوات حسرة وبكاء، هي نفسها الثواني التي صمتت فيها مهزوماً قبل أن أبيكى على نفسي لا عليه، هي نفسها الثواني التي صمتت فيها عبر قبل أن تبكي ببلادة، هي نفسها الثواني التي صمتت فيها المنجد قبل أن يحوقل. هي نفسها الثواني التي انتهت عندما لعلت في فضاء الحارة شخراً لعلها الأعنف في تاريخ الحرارة وتاريخ أم عبر، شخراً هي الأحرق والأقبح والأكثر نداً ووحشية في تاريخ الكون كله، لم تكتف بها أم عبر بل انطلقت بوابل من الشتائم تشتم العصافير ومبين أم العصافير وديك أم العصافير، فجأة لاحت على الأرض لتلتقط حبراً وتسدده به ضربة مليئة بالغل والحداد صوب العصفور النذل الذي لم يكن قد أفاق بعد من ذهوله ولم يقو

وأطير به بعيداً إلى مكان آمن لكي لااوي جراحه التي لم يعد من العسير إدراك كثثرتها، كان رفيقه يكتفي بنظره بلهاء جامدة لما يحدث، لم يفكر الحقير في أن يفعل شيئاً أي شيئاً لكي ينجد رفيقه، كان من الممكن أن يفعل شيئاً لو أراد ، على الأقل كان موقعه يتيح له أن يطير لكي يدفع بجسمه رفيقه الجريح بعيداً عن الفقص أيا كانت النتيجة، كان موقعه لا يتيح لي سوى أن أرى الجانب الخلفي من جسد العصفور البطل الذي لم يعد فيه موضع إلا وبه ضربة منقار لبيغاء، لم يمنعه تناقل جسده من موصلة سخريته منه باللقطات الحب والتغريد، توحدت معه إلى حد أصبحت أحس فيه الضربات الموجهة إليه تضرب في سويدة قلبي، عندها فقط أدركت مدى عذابه، أدركت كم هو مؤلم أن تكون بطلاً، آآآاه، لماذا جاء سقوطه هكذا دون مقدمات ليفاجئ حتى عدواته الثلاث، لو ترتجح حتى ولو قليلاً، لو اختل توازنه قبل أن يسقط، لو انقطع حتى صوت تغريده ولو لحظة ليوحى بما سيحدث، لماذا يارب سقط جسده هكذا فجأة في الفراغ، الأرجح أن النهاية جاءت على إثر ضربة محكمة في إحدى عينيه، هكذا خيل إلى وأنا أحياو أن ألتقط نظرة من عينيه وهو يسقط في فراغ الحارة قبل أن يهوي جسده الدامي على مرتبة عبر لثلاث دماء بياضها الذي لم يكن

بعد على أن يفارق حاجز الشرفة المواجهة لقصص البيرغواط  
القاتلات، كان بطلا في الرماية هو الذي رمى ذلك الحجر وإنما  
أصاب بهذه الدقة منتصف رأس العصفور الذي نعله أول عصفور  
في التاريخ يقتله الذهول قبل أن تقتله ضربة حجر، حتى أم عبير  
لم تكن تتوقع محدث ولو كانت تتوقع لما رمت الحجر، فالمرتبة  
لم تكن ينقصها عصفور آخر يسقط في فراغ الحرارة ليسقر جسده  
الدامي على طرف المرتبة هذه المرة ملوثاً ماتبقى من بياضها  
غير الناصع. كان المنظر من حيث أقرب مثيراً للرثاء والإشمئزاز  
والحزن في آن.. لكن كل هذه المشاعر التي كانت تتصارع داخلني  
لم تمنع أم عبير من موافلته إطلاق سخراتها ولم تمنع المنجد من  
حمل الجسدتين الضئيلتين القتيلتين وإلقانهم إلى حيث تتخطفهمما قطط  
الحرارة ولم تمنع البيرغواط القاتلات من موافلته انطيران المبت檄ج  
في سماء القفص المحدودة ولم تمنع ماكينة الطعمية من الدوران  
ولم تمنع محمد مثير من موافلته الغناء في الووكمان "وقلبي من  
بعد الطيران ماحتله إلا جناح مكسور .. دلوقي لما باقول الآه  
وللت بعيد مين يسمعني".

نص الخطاب التاريخي الذي ألقاه فخامة  
السيد الرئيس محمد أنور السادات في ديسمبر عام ١٩٨١ بعد نجاته  
من حادث المنصة الإجرامي

## .. لكن ربنا ستر

" هي دي مصر يا عبلة"

الزمان: ظهر ٦ أكتوبر عام ١٩٨١

المكان: مستشفى المعادى العسكرى، الدور الثانى، ألمام حجرة الطوارئ تقف السيدة جيهان السيدات والسيدات بناتها منخرطات في البكاء، كبار رجال الدولة انصرفوا منذ قليل ليجتمعوا في مجلس الوزراء بعد أن طالبتهن السيدة جيهان السيدات قرينة السيد الرئيس بأن ينقذوا مصر ويضعوا مصلحتها فوق كل اعتبار. على مقربة من السيدة جيهان يجلس كمال الشاذلى على مقعد ركبته مصابة ويتهم رب احفظ حياة الرئيس.. يارب، بالقرب منه يبكي موسى صبرى وجلال عيسى ويؤمنان على دعاء الشاذلى، بعد لحظات من الانتظار مرت كأنها دهر يخرج رجل من حجرة الطوارئ متنهل الوجه ليهتف: الحمد لله.. الرئيس هيعيش.. فتطلق الزغاريد وهتافات الفرح.

مساء ٦ أكتوبر عام ١٩٨١، نشرة التاسعة مساء:

يتتصدر النشرة خبر عن إلقاء الرئيس السادات خطاباً إلى الأمة في مجلس الشعب صباح ١ ديسمبر عام ١٩٨١ بحضور جميع قيادات الدولة والجيش وممثلي عن جميع التنظيمات النقابية والشعبية.

صباح ١ ديسمبر عام ١٩٨١:

يقطع التلفزيون المصري برامجه وبعد إذاعة عدد من الأغاني الوطنية ينتقل الميكروفون إلى إذاعة خارجية من مبنى مجلس الشعب في شارع القصر العيني لإذاعة وقائع الجلسة التاريخية التي سيلقي فخامته الرئيس خطابه التاريخي فيها، في ركن من أركان شرفة الصحافة يجلس المذيع أحمد سمير ليقول بصوته الجهوري:

- أيها السادة والسيدات، هذه لحظات خالدة في تاريخ مصر، سجلها التاريخ بأحرف من نور، ننتظر معكم وصول السيد الرئيس إلى مجلس الشعب ليوجه خطابه إلى شعبه الذي ينتظره ويسجد الله شكراً على سلامته. بالفعل الآن يصل السيد الرئيس إلى المجلس ويصافح كبار مستقبليه وهو يدخل إلى القاعة ليقابل

بيان رسمي يزف إلى الناس البشرى ويؤكد أن الرئيس يخضع حالياً لعنابة طبية مكثفة وإن حالته مستقرة وتجاوزت مرحلة الخطر، بيان آخر يعلن القبض على جميع مرتكبي المؤامرة الفاشلة وبدء التحقيق معهم.

مساء ٧ أكتوبر عام ١٩٨١، نشرة التاسعة مساء:

الإعلان عن وصول فريق طبى أمريكي من كبار الأطباء العالميين بصحبة جمال ابن الرئيس السادات الذى كان مسافراً إلى الولايات المتحدة، في نفس الوقت يتم الإعلان عن قرب وصول فرق طبية فرنسية وبريطانية وألمانية وإسرائيلية وأسبانية.

مساء ٢٧ نوفمبر عام ١٩٨١:

بيان رسمي يعلن تماطل الرئيس السادات للشفاء التام واحتيازه فترة النقاهة وعودته إلى قصر الرئاسة بصحبة السيدة فرينته وأولاده وبنته وسط استقبال شعبي حافل، ويتم في النشرة الرسمية للتلفزيون إذاعة مشاهد من العودة، ويرقيات تهنئة من كل دول العالم، والإعلان عن وصول عدد من كبار رؤساء وملوك دول العالم لتهنئة الرئيس بسلامته.

مساء ٢٩ نوفمبر عام ١٩٨١، نشرة التاسعة مساء،:

الشرايط زى مانتو عارفين بس يعني بقى للضرورة أحكام والبلد  
كانت على كف آآآ عفريت، ماعندكوش فكرة الشرايط دى قطعت  
في قد إيه وقد إيه كانت بتهزنى وتؤثر في دموع الناس في  
الثليفزيون وقد إيه حسيت بالسعادة لما سمعت بودنى الزغاريد  
للى ملت مصر وحکوا لى برضه عن الشربات اللي انفرقت في  
كل حنة في مصر، والعجول والخرفان والفراخ اللي اندبخت في  
كل بيت، كل واحد وطاقة، حتى اللي ما كانش قادر يفتح غير  
علبة تونة فتح تونة قلت لهم ومالمه أهو بيعبّر عن فرحته بطريقته.  
قلت لنفسى أحمدى يارب إنك ساعدتني على الرجوع لشعبي  
وابنائى وعيلتى عشان مصر ماتضيعش وتستمر قوية وأم الدنيا،  
حسين إن مصر كلها كانت عيلة مستتبة رجوع كبيرها بالسلامة  
عشان يرجع لها توازنها واستقرارها. وده أيها الإخوة والأخوات  
يؤكد أن الحقد لا يبني شيئاً ولا يجد مكاناً في صفوف شعبنا  
الطيب، وأن أخلاق القرية وقيمها هي التي تنتصر في النهاية مهما  
تأمر المتأمرون الأوغاد وأن شعبي سيظل كما عودته وتعودته  
قادراً في أصعب الساعات على مواجهة التحديات بصدق  
وشجاعة.

بتصرف حار لا مثيل له من ممثل الشعب المصري، والآن  
نترككم مع خطاب السيد الرئيس التاريخي، فليسمع الكون كله له.  
بسم الله الرحمن الرحيم  
ويمکرون ويمكر الله والله خير الماكرين  
وكذلك ننجي المؤمنين والله يعصمك من الناس..  
الإخوة والأخوات، أبنائي، شعبي، جيشي.

اخترت أن أتوجه بحديثي إليكم من بيت الشعب وقلعته، من مجلس  
الشعب، واخترت أن يكون هذا الحديث صادقاً وصريحاً ومن غير  
إعداد ولا تزويق.. حديثاً من القلب.. آآآ.. آآ.. والحقيقة مش  
عارف ألاقي بداية لكلامي أحسن من أتنى أقول الحمد لله..  
مصر بخير، كتب الله لها النجاة من مجهول، ربنا أراد لها البقاء  
 والاستمرار في أداء دورها الحضاري والوقوف ضد كل  
المؤامرات، وأنا يمكن حسيت بهذه ولأنا على سريري في  
المستشفى، أول ما رينا كرمي، كل شوية ييجي لي تقرير عن  
صلوات التضرع إلى الله اللي كان بيقوم بها ولادي في كل جوامع  
وكنائس مصر، بعضها حكى لي عنه الإخوة في الأزهر والكنيسة  
وبعضها الآخر جايهولي الأخ النبوى إسماعيل لأن رجاله  
صوروها لى بالفيديو مع إنى كنت لغيت التسجيلات وحرقت

باجي دلوقتى للمؤامرة والمتآمرين الأوغاد وأنصارهم من الأفدية الأرازل اللي بيموتوا بغيظهم دلوقتى، مش باتكلم على شوية العيال اللي هم مر咪ين في السجن دلوقتى زي الكلاب، مستعينين حكم العدالة اللي لازم تقتص منهم وتستأصلهم، انتوا عارفين إن احنا مابنخاش في القضاء وإرادته طبعاً، لكن أنا بارند اللي جوه قلوب شعبي، العيال دول مجرد أدوات لعقول مدبرة ربنا أراد يحيطهم، زي ما ربنا أحبط ناس كتير، مش عارف أقول مين ولا مين، انتوا عارفين كل حاجة.. القذافي والأسد ودول الرفض وبتنوع الصمود والتصدى ومش عارف إيه وبتنوع الدقون وهيك والعيال الشيوعيين الأرازل، كل دول ربنا أحبطهم بقدرته وإرادته.

عيشه بعد مارينا مد في عمرى لأن دى مش أخلاق القرية، ومش هافساله إنه حتى لو المرة دى جلت منه كانت ضبطت معاه قبل كده وتقربوا تسللوا النبوى عن محاولات الاغتيال الكثيرة اللي أحبطها، وأنا باقول له اتكلم يا نبوى وقول للناس عن المحاولات اللي اتضبطت قبل كده، بلاش النبوى، أحكي لكم أنا فيه متآمرين حاولوا اغتيالي وتدمر مستقبل مصر ٣٨ مرة، ٣٨ مرة يا شعب مصر، ٨ محاولات شيوعية و ١١ محاولة ليبية و ٩ محاولات من دول الرفض و ٩ محاولات منطرفة ومرة إيران.. تمازية وحداشر وتسعة وتسعة وواحد بيقى ٣٨ محاولة وربنا بيحفظ مصر في كل مرة، عشان تبقوا عارفين المخابرات الليبية عملت محاولة في سبتمبر عام ١٩٨١، وسموها عملية جون كينيدي، وجندوا واحد من قنا، واتمسك، والنبوى قال لي وأنا في المعمورة حكاية الواد وبالبنديبة اللي عايزة يقتلنى بيهما زي ما اقتل جون كينيدي، كينيدي مين يا حبيبي، فاكرينى كروديا، إحنا مش في تكساس، إحنا في مصر بلد الأمن والأمان، يومها قلت لجيها.. القذافي كان عايزة يقتلنى بالبنديبة دي يا جيهان وكنت عايزة أعملها في متحف، القذافي دون اللي أعلن مسؤوليته عن المحاولة الفاشلة اللي كان فاكرها نجحت، كفاية إنه في يوم من الأيام وصل فيه الإسفاف إنه

أنا عايزة شعبي يعرف إن أنا كنت مستني اللي وقع يقع، حتى تغربوا طبعاً، والله أنا كنت مستني اللي وقع يقع، حقيقة ليه حاج يلكم وأقولكم ليه... عشان مش دى أول مرة أعرف إن فيه محاولات لتدمر مستقبل مصر، أنا صحيح أقتل النبوى إسماعيل عشان وصلتني تقارير إن العيال بتوعه جت لهم معلومات عن المحاولة الفاشلة وما كانواش صاحبين، لكن أنا رجعته تاني كرمات حلاوة النصر اللي ربى نصرها لي وقلت مايصحش إبني أقطع

يسن بالكلام على أهل بيته مع إنه كان ابن من أبناءي لما كان بييجي مصر، وأستضيفه في بيته ومع زوجته وأولاده وكان يعامل كأحد أفراد العائلة وهو يعلم هذا لكنه رجل مريض وسيأتي الوقت المناسب لنقل كل شيء عن هذا الرجل.

قبل كده في مايو عام ١٩٨١ مسکوا فلسطيني جاى من سوريا معاه راديو كلاسيت فيه ديناميت، يعني تشغل الشرق الأوسط تلاقيه ولع بييك.. وقبل كده برضه جه تلفون من الدكتور كرايسكي للدكتور على السمان صديقه، قبل ما أسفرا أمريكا بأسبوعين في الرحلة اللي فاتت دى على طول ، وقال له إن عنده معلومات إن في محاولة لاغتيالي وأنا في الزيارة، وبرضه ماهمنيش..

أنا كنت عارف أن رأسى مطلوبة، بس مؤمن إن الأعمار بيد الله، الوحدين اللي كنت باخاف عليهم هم أولادى، مرة عثمان أحمد عثمان قال لي بعد زيارة للمنصورة، من اللي كنت بالقابل فيها شعبى، نهدى شوية يا رئيس، قلت له. إنت عبيط يا عثمان، عمر الإنسان محدد، وساموت في اللحظة التي يشاء لي ربى أن أموت فيها، وأنا كنت رايح المنصة وأنا عارف إن العمال حسب كلام النبوى، بقت خطوطهم مقطوعة، خاصة بعدها هددت الوراد الزمر في خطابى، وعشان كده مارضيتش ألبس القميص الواقى، قلت

لهم آيه الكلام الفارغ ده، أنا وسط أولادي... ودى فرصة بقى عشان أحكي لكم اللي حصل بالضبط لأننى سمعت كلام كثير من المفترضين إن أنا كنت مذهول وضررت لخمة وقلت مش معقول وغير ده من الكلام الفاضى، وإن ولادي جروا ونزلوا تحت الكراسي، أنا مش هانكر إن بعضهم عمل كده فعلا لأننا في بلد مؤمن والكذاب بيروح النار، هو اللي حصل من ولادي طبعاً كان تصرف غريبى وبيحصل فى أحسن محاولات الاغتياى، لكن كله كوم وإن حد يتكلم عن شجاعة قلب أنور السادات أو يشكك فى رباطة جأشه فده كوم تانى، اللي بيتكلموا دول نسيوا إنهم بيتكلموا مع السادات اللي شاف الهوابيل ومن هو صغير، اللي حصل إنى أنا كنت بانفرج ع الطيارات وفرحان بجيسي العظيم، أولما لقيت العربية اللي وقفت من بين الطابور وناس بتتنط منها وصوت رصاص، عرفت أن ساعة المواجهة مع أعداء شعبي جت، وقفت بكل شجاعة والحمد لله، ولما أول واحد من العمال الأنداال اللي بيحصل القصاص منهم قرب منى، وجت أول رصاصه فى صدرى.. آ.. آ.. آ.. صرخت بكل صوتى وقلت له إزاى يا ولد ترفع سلاحك على أبوك انت اتجنت يا ولد إزاى تحاول تقتل الرئيس المؤمن اللي أرسى دعائم دولة العلم والإيمان، الولد

والعيال اللي معاه أصيروا بذهول ولمحت دموع الندم في عينيهم، كان هو مذهول من منظر الدم اللي نازل مني وأنا واقف بكل ثبات وشجاعة.. وكان ممكنا ربنا يعدى الأمور على خير، لولا رصاصه الغدر اللي أنا عارف جت متين. والكلام ده يحكيهونكو كبير الياوران وسمير حلمى والأنبا صمويل الله يرحمهم، وفوزى عبد الحافظ ووجدى لسعد رئيس أمن الرياسة اللي نسه في المستشفى.

المهم عشان مايفتكوش في الكلام لما الرصاصه دخلت رقبتى وأنا باقع على الأرض لقيت نور بين السما والأرض وصوت بيقول لي.. شعبك نسه عايزك يا أنور.. اجمد.. والحمد لله آدينى واقف بين شعبي النهاردة، وربنا وفق رجانتى إنهم يعلنوا قرار إن يوم ٢٩ أكتوبر بيقى عيد اسمه عيد النجاة تحفل مصر بيها كل سنة والعاملين في الدولة ياخدوا أجازة رسمية ويفسحوا ولادهم ويودوهم القاطر وجنينة الحيوانات ويقولوا لهم للنهاردة يا ولاد انكتب لمصر عمر جديد، لأن اللي حصل لي ماكاش هيضر فيه حد غير مصر.

باجى بقى للناس اللي شمت قبل ما تتجلى الحقيقة، ودول ناس ماعندھمش أخلاق القرية اللي اتعلمنا فيها إن مايفيش شماتة في

الموت، وأنا باتكلم هنا عن روساء دول الرفض اللي مسميين نفسهم قال إيه الصمود والتصدى اللي ملوا إذاعتهم أغاني وأفراح.. وعن بنواع الدقون اللي قعدوا يكبروا ويهللوا ويقولوا هلك الهاك. طب أما نشوف مين الهاك ومين اللي هيهاك، ولا الواد اسمه إيه آه عادل عيد اللي هتف في السجن مع الأفنديه الأرازل وقال تحيا مصر، من غير ما يعرف إيه اللي كان هيحصل لمصر لو، لا فدر الله والشر بره وبعيد، كان حصل اللي حصل، هم قالوا اللي إن هيكل عيط في السجن لما سمع الخبر، بس أنا ماصدقتش قلت لهم دي دموع الفرحة، وإن ماكانتش بتقى دموع التماسيح، ده هيكل ولويس التاسع عشر وشوية الأرازل اللي معاهم أكثر ناس تفرح في، وكفاية الواد الشاعر البدى اللي اسمه نجم اللي طلع أغنية حادة يقول فيها، لا إله الله مات الندل وموت دواه، أنا ندل يا حقير، في حد يشمت في الموت، هي دي أخلاق القرية.. احنا عمرنا ما كنا كده، ده بيشمت في لأنه ملحد، والراجل الأعمى إمام اللي معاه ده أنا عطفت عليه وماضمرش فيه معقوله يعمل كده، ولا اللي قالوا لي عليهم إنهم بيصلوا صلاة الشكر في السجن لما سعوا الخبر، ملاحدة وبيصلوا.. على رأى المثل يعلوها ويختلوا، باجي بقى اللي قالوه العيال اللي حاولوا

كلمة الإسلام أصبحت مخيفة عند الناس، وإن الخميني أساء إلى الإسلام في الخارج، والجماعات التي بتسمى نفسها الإسلامية أساءت للإسلام في الداخل ومسئوليتنا نرسم صورة طيبة صحيحة للإسلام وعايزين نجتمع كل أسبوع عشان نطلع بيان باسمى للشباب المسلم والشباب المسيحي - كلهم أولادى - عشان أوضح لهم خلاصة سياسى وتجاربى في الحياة وأربط المبادئ والقيم بما جاء في الإسلام والمسيحية، هم بس زعلانين إن اللي أنا قلته صحيح، وما فيش أى تناقض بينه وبين دولة العلم والإيمان اللي دعيت لها. عموماً كل دولة هتسمعوا أخبارهم فريراً، عملاء دول الرفض وبتنوع الدقون والأرازل والعلادة.

ولنا باعلن من هنا عن إنشاء محكمة عسكرية اسمها محكمة التطهير لمحاسبة ومحاكمة كل من ينجرف عن الجبهة الوطنية وسيحاكموا طبعاً محاكمات عادلة.. احنا ما بنتدخلش في القضاء زي ما قلت وأحب أعلن عن خبر كويس بالنسبة للموقف الخارجي، الحمد لله ربنا هيتوب علينا من قرب الصراع العربي الإسرائيلي والحمد لله إنه هدى سر أخونا عرفات بتاع فلسطين اللي غلبت أقول له يا ياسر الناس زفت حروب وقرف وعايزه تعيش وتستتر وتساكل لقمتها بعرق جبينها، ما أخبيش عليكو

ينفذوا المؤمرة، واد منهم اسمه عبد الحميد قال إنه حاول يقتلنى عشان الدولة فيها مفاسد وخمور وربا، وإن الحكومة كافرة، واد تاني اسمه عطا قال إنى باحكم بالديمقراطية اللي هي كفر وأنه خذ تقافته من كتب وخطب كشك وال محلوى، والتالت اللي اسمه حسين قال إنه حاول يقتلنى عشان أنا شتمت المحلوى وقت عليه مرمى في السجن زي الكلب وأتنى قلت عن حافظ سلامه إنه مجنون وشتمت النقاب وقت عليه خيمة وإن أنا ظالم، أنا ظالم يا حسين.. طيب.. ماشي يا حسين.. أنا بقى هاوريك الظلم على أصوله يا حسين عشان تعرف الفرق بين العدل والظلم.. الراس الكبيرة بتاعتهم خالد الإسلامبولي شبهنى بالتار وجنكيز خان وإن أنا ما بالتزمش بكتاب الله، أنا ما بالتزمش بكتاب الله.. بذمتكم أنا كده.. طب أنا ما فيش حد بيغش صوت الشيخ رفت قدى.. أنا اللي شعبي بإحساسه الوطني لقبني بالرئيس الموزمن، وكلكوا عارفين أنا إيه اللي عملته للدين مقارنة باللي كان موجود في أيام جمال - الله يرحمه بقى مش عايز أتكلم وأجيب في سيرة الأموات لأنه الحقيقة جالى في المنام وهناني بنجاتي وأنا مش قادر أنسى له الموقف الجميل ده. ماعلينا المهم بمناسبة حكاية الدين دى أنا ذكر فيما ذكر أتنى قلت مرة للدكتور البرى إن بيشغلنى كثيراً إن

كان لابد من الانفتاح الاقتصادي... والحمد لله احنا مستمرین  
وقریباً هتسمعوا أخبار كويستة عن توسيع دور القطاع الخاص  
وتطهیر القطاع العام اللي بقى تکية.. ومتخافوش كله يأكل  
ويتبسط بس لو اشتغل، خلاص مش هيذكر اللي كان بيحصل  
أيام جمال، الله يرحمه دا كان زمان، تهريج زمان ومزليات  
زمان، التهاردة المواقف متحددة، وأنا باقول ده للصحافة اللي  
عندا للأسف، يا إما سلبية يا إما من تحت تحت بتحدف كلام، بلا  
مسئوليّة إطلاقاً، أنا باحكي لكم، أصلى بانفس عن المعاناة بتاعتي،  
أنا سبب كل حاجة، سبب الفتنة الطائفية ماثية، سبب طلبة  
الجامعات يهوهوا، ويعلموا مظاهرات وصحف حائط وشنايم  
وتصرفية وانهزامية وقالوا في محمد أنور السادات ما قال مالك  
في الخمر وسبب ده كله.

لكن دلوقتي خلاص، فاض الكيل، الديمقراطية لها أنياب هتوجع  
كل اللي يهز الاستقرار ولن أرحم، وأنا باقول للصحفيين اللي بره  
واللى جوه كفاية بقى، تعبرتوني وسوأتوا سمعة بلدكم، أنا  
ما بيهمنيش اللي بيtalk في حاجة إنما ليه يسوا سمعة بلدتهم؟ وأنا  
قبل كده شلت ١٢٠ صحفي، ما وديتهمش بقى على مؤسسات  
الدواجن زي ما حصل قبل كده ولا وديتهم الاستعلامات وما

عرفات اتصل بي من يومين وقال إنه وافق على إجراء مقابلات  
مع أمريكا وإسرائيل وبيطاب وساطتني في الموضوع، صحيح هو  
طلب مني إن الموضوع يفضل سر لكن أنا ماخبيش حاجة على  
شعبي، وقريب هيفي فيه خطوات جادة عشان نخلص من الفيلم ده  
ونستريح، وأنا قلت الكلام ده زمان... إن لو قدرنا تكون علاقتنا  
بأمريكا أحسن من الحجم العادي يكون أحسن.. ليه؟ لأنني أنا  
أؤمن أنه لا مصلحة لنا في عداوة دولة كبرى كأمريكا إطلاقاً،  
وأنا ما كنتش عايز أقول إن المؤامرة اللي تعرضت لها كانت تدير  
من الاتحاد السوفيتي، لكن أديني قلت وباللا، خلى الأمور  
تنضج.. وأمريكا هي اللي كشفت لي ده بالوثائق والمستندات، وأنا  
فاكر لما جانى كيسنجر وعملنا النقاط السبب حذرني بس أنا  
افتكرته ببالغ، وأنا دلوقتي شايف إن ربنا وفقنا في قرار السلام  
وعايز أسأل... إراده مين اللي كانت ورا هذا القرار غير إرادتنا  
احنا، نقا مين اللي كانت ورا هذا القرار غير ثقتنا احنا في نفسها،  
ما نخشى شيء، بكلام مع كل مخلوق لأن احنا بنملك في أي وقت  
نقول آه، ونقول لأ.. لمصلحة قضية والمصالح العام، والستين  
اللى حاربنا فيها كنا بنصرف من لحم الحي، وما فيش اللي بنقول  
عليها في الفلاحين الخميرة، الخميرة خلصت رخرا وعشان كده

قال ما عنديش كسفريت، أنا استغربت إيه الحكاية؟ قالوا ده اسمه وظاللت مصراً على أن اسمه كسفريت لغاية ما باع لي الرجل العبة على إنها كسفريت برمغم تهريجهم وضحكهم علىَّ. أنا باقول الحكاية دى عشان يعرف الكل إن أنا مابتهزش، كسفريت يعني كسفريت، سلام يعني سلام، افتتاح يعني افتتاح، وأنا بافكر أتفق مقر العاصمة لميت أبو الكوم عشان نرسخ أخلاق القرية ونبعد عن أخلاق الإنحطاط والزحام، وأصدرت قرار بإلغاء العروض العسكرية خلاص وإلغاء الاحتفال بال السادس من أكتوبر مش خوف لا سمح الله وإنما لأن الباب اللي بيجي لك منه الريح سده واستريح.. وهادرف علاوة للموظفين اسمها علاوة بركة إنك بخير.. وهافق ضد أية محاولة لاستخدام الديموقратية للعبث بمصلحة الوطن حتى لو اضطربت لتحويل مجلس الشعب إلى مجلس محلى ويبقى بالتعيين، وهاعمل استفتاء على كل ده خلال الأيام المقبلة. وأنا عارف إلko توافقوا جنبي في أي قرار آخذه عشان مصلحة مصر.

أنا طولت عليكم، لكن أنا كان لازم أحكي وأقول لكم كل اللي في قلبي، وعايزكو تعرفوا وتقهموا كويس قوى إن محمد أنور السادات رئيسكم المحبوب المنتخب اللي بتقدوه بأرواحكم وبقلوبكم

قطعنـش عيـهمـ، أنا بـسـ كانـ عـقـابـيـ لأـهـ عـيـبـ، وأـنـاـ باـقـولـ لهمـ لـمـواـ نـفـسـكـمـ، ليـهـ؟ لأنـ أناـ فـيـ موـقـفـ مـحـتـاجـ لـكـلـ إـنـسـانـ فـيـ الـبـلـدـ يـقـفـ مـعـاـنـاـ وـيـقـفـ مـعـ بـلـدـهـ..  
وـأـنـاـ باـعـلنـ عنـ تـشـكـيلـ مـحـكـمـةـ اـسـمـهـ مـحـكـمـةـ السـلـطـةـ الـرـابـعـةـ.  
عشـانـ تـحلـ لـنـاـ مـشـكـلـةـ دـىـ. وأـنـاـ باـقـولـ لـلـنـاسـ. اـحـناـ مـشـ عـلـىـ  
رـجـلـينـ الرـوـسـ زـىـ حـزـبـ الـبعثـ السـوـرـىـ. اـحـناـ مـالـنـاشـ غـيرـ  
إـرـادـتـنـاـ وـغـيرـ أـخـلـاقـ القرـيـةـ، القرـيـةـ بـتـدـىـ مـنـاعـةـ، بـتـدـىـ أـصـالـةـ  
بـتـحـمـيـ الإـنـسـانـ، الصـلـابـةـ أـسـاسـهـ القرـيـةـ، وأـنـاـ مـاـكـنـشـ أـقـدرـ أـخـرـجـ  
مـنـ الـمـؤـامـرـةـ دـىـ سـلـيـماـ مـعـافـىـ مـنـ غـيرـ أـخـلـاقـ القرـيـةـ يـمـكـنـ اللـىـ  
زـادـ أـخـلـاقـ القرـيـةـ عـنـدـىـ قـوـةـ هـىـ الـظـرـوفـ اللـىـ اـتـعـرـضـتـ لـهـ،  
الـمـحـنـةـ، مـحـنـةـ التـشـرـيدـ وـالـمـعـنـقـلـ زـىـ مـاـ قـالـواـ فـيـ حـكـمـةـ كـبـيرـةـ جـداـ،  
لـاـ يـبـنـىـ الـأـمـمـ الـعـظـيمـ إـلـاـ الـآـلـامـ الـعـظـيمـ، كـذـلـكـ لـاـ يـبـنـىـ الـفـرـدـ مـنـ  
دـاخـلـهـ بـصـلـابـةـ وـقـوـةـ إـلـاـ الـآـلـامـ الـعـظـيمـ وـأـنـاـ وـالـحـمـدـ اللـهـ عـشـتـ الـعـدـيدـ  
مـنـ صـنـوفـ الـآـلـامـ طـوـلـ حـيـاتـيـ.

أـنـاـ ذـكـرـ فـيـماـ ذـكـرـ. أـوـلـ مـاـ جـيـتـ القـاهـرـةـ مـنـ القرـيـةـ نـزـلتـ أـشـتـرـىـ  
مـنـ الـبـقـالـ اللـىـ قـدـامـ بـيـتـاـ، نـزـلتـ أـشـتـرـىـ كـبـرـىـ، فـيـ القرـيـةـ عـنـدـنـاـ  
مـاـنـقـولـشـ كـبـرـىـ نـقـولـ عـلـبـةـ كـسـفـرـىـ قـلـتـ لـهـ هـاتـ عـلـبـةـ كـسـفـرـىـ،  
الـأـلـادـ الـأـرـازـلـ وـاقـفـيـنـ حـوـالـيـاـ، هـاجـواـ مـنـ الضـحـكـ عـلـىـ، الـبـقـالـ

مش ييخاف من حد بييغاف من ربنا بس، وأختم خطابي بالدعوة  
إلى أن يتقهقر الحقد ليحل محله الحب فلا يمكن أبداً أن نعيش في  
مجتمع انحصار و إلى أن نقف صفا واحداً في وجه كل من يحاول  
النيل من هذا الوطن. وأن تكون هذه المحاولة الآثمة هي الأخيرة  
بإذن الله عز وجل.

ربنا لا تزعغ قلوبنا بعد إذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة إنك أنت  
الوهاب والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

نشرت في جريدة الدستور القاهرة  
١٩٩٧

# ستفصب أمري

"أملك ثم أملك ثم أملك"

---

**ستغضب مني أمي كثيراً لو علمت أنني الذي قتلت عصافيرها.** لماذا أبدأ كلامي بكذبة. لم يكن لأمي عصافير. كان لها دجاج تربيه في الشرفة، وكانت سقطنا جميعاً - أنا وإخوتي وأبي - لو وجدته ميتاً.

ستغضب مني أمي كثيراً لو علمت أنني أنا الذي سرقت علبة أساورها. لازلت مصرأ على الكذب. لا تمتلك أمي علبة أساور ولا تمتلك أساور أساساً، كل ما تمتلكه سلسة ذهبية وخاتم فضي لم تغير هما ولم أرهما يوماً مذ كنت طفلاً وحتى الآن وهي لا ترتديهما.

ستغضب مني أمي كثيراً لو علمت أنني أضرب إخوتي . كذبة سخيفة. فهي تعلم أنني أضربهم وتعلم أنني شخصياً أضرب كل يوم من أبي، ولا تملك هي إلا أن تقول بصوت واهن من فوق مقعدها المفضل على كتبة الصالة:

بس يا ولد.. بس يا بنت.. عندما أضرب إخوتي، و"بالراحة يا  
محمود.. حرام عليك" عندما يضربني أبي.  
ستغضب مني أمي كثيراً لو علمت أنني أسرّ كل ليلة لأبكي في  
غرفتي.

يا لغباني.. طبعاً لن تغضب.. فليس لي غرفة خاصة.. ولا أمتلك  
رفاهية السهر فأننا مجبّر كل يوم على النوم مبكراً للاستيقاظ مبكراً  
والذهاب إلى المحرقة التي أعمل فيها لكي أكون كما يقولون رجالاً  
يعتمد عليه.. ليس لي إخوة أضربهم.. فأننا وحيد كليل أرخي  
سدوله..

أمي لن تغضب أبداً.. هذه هي الحقيقة.. .. أمي الآن راضية..  
وأنا أحسدها.. أمي ماتت منذ ثلاث سنوات.. ياختها.  
أمي لم تمت منذ ثلاث سنوات.. يا لغبائكم لأنكم صدقتموني..  
ليتني كان لي أم يوماً ما كي أكتب عنها قصة تعجبكم.

القاهرة

١٩٩٦

# كناس من الناس

" الآخرون .. ولاد كلب زيالة "

تعب من لم وساخت الناس فجلس يلملم نفسه محدقا في  
اللائسيء، صديقه الرصيف وبطاقة ائتمانه المقشة وحلمه "أن  
نكون زى بلاد بره، نحترم نفسنا ونبطل نف فى الشارع، عارف  
أنا لو تدينى ورق الدنيا وترابها ألمه وأنا متكييف، إنما ألاقي بيء  
متعنطر ونافخ لى نفسه يتف فى الشارع وأناأشيل خراه، أبقى  
متعكعن طول اليوم وعايز أحط المقشة دى فى ....."

إسمه شعبان أو شحاته أو عبده، لاشيء بيه، المهم أنه يسأل الله ألا  
يأتى توزيعه فى الخدمة أمام شيراتون الذى بقى له شهر بيكس  
قصاده" ليه يا عمن؟، أصل شيراتون دى مالوش صاحب، يعني  
أنالو باكس فى حارة فى الجيزه ولا بولاق هاستفع من ده ربع  
جيشه ومن المعلم ده نص جنيه وتمشى.. إنما هناهاطلع أخد من  
الحاج شيراتون فلوس.. على النعمه يشمطونى لو عبت سانتى  
جوه" مختلف ياعمنا؟ "تسعة وحياتك.. وماقوليش ليه.. الخلفة  
عزوة . ٥ من عالي بيستغلوا وكل واحد بيساعدنى.. والكبير

هيتجوز ويقعد معانا.. حكمة مين يابه اللي اسمع كلامها.. دول  
منشفيں ريقنا عشان بدل الصحة اللي طالبینه بقى لناسين و هربنا  
نفسنا إضرابات ولا حد عبرنا. تقول لي اسمع كلامها دول بيدونى  
،،اجنبه ولو لا فلوس عيائى وشغلانة مصنع الطوب اللي  
بارو حها فى يوم أجازتى وأخذ يومية ،،اجنبه ماكنتش أقدر  
أعيش".

بنشوف إيه في التلفزيون؟ ساعات أشوف الشیخ الشعراوى الله  
يرحمه.. إنما ماليش نقل على السهر .. أنا بانام الساعة تمانية  
ولاتسعه بالكتير .. عشان أقدر ألف طول النهار أنضف في  
وساخات شوارع مصر.. عمرى ما رحت السيماء وبابينى مش  
هارو حها.. لعلك أنا أعرف أقرأ وأكتب وكنت شاطر في  
المدرسة بس طلعت من ساته.. الظروف يابيه".

"أقول لك الحق.. أكثر حاجة تضايقني إن الناس ما بتراضاش تسلم  
عليا.. متهيا لهم إنى مليان أمراض.. آه يا ولاد الكلب.. ده انتو من  
غيرى تعيشوا أو ساخ وتموتوا أو ساخ".

## لا حب تحت المطر

"انتظر جنة حبيتك على الباب"

شارع سعد زغلول

١٩٩٩

نهار آخر غائم وممطر.. برد تصطرك له القلوب.. يغيرني دفء السرير أن أنسى موعدنا لكن وجهك يجذبى بعنف محب فأنقض كسلى وأغادر فراشى لأصطدم خارج الغرفة المغلقة بوحشية الصفيع.. أقحم رأسي تحت الحنفيه لأغسله بماء شكك أنه تلخ لفرط قسوته.. أتائق مسرعا.. أنظر إلى وجهي المجهد في المرأة المشروخة.. كدت أكتب لكنى ابتسمت عندما خيل لي وجهك جميلا حنونا يلمع في النصف الآخر من المرأة.

تغفلت ببرودة الهواء في مصاريني ولانا أنزل السلم جعان ياكبدي.. وما إن خرجت من باب العمارة حتى تذكرت أن أمامي نهاراً ممطراً لأجتازه.. كان الفضاء يتسبب ماءا.. والسماء تبدو متوجهة كالحية تعد بالمزيد من المطر.. والرعد يهدو محركاً الخوف والقلق.. وكان شارعنا الضيق يسبح في الماء العكر والطين يحيطه تاركاً شريطاً ضيقاً لا تؤمن من زلقه.. إستجمعت حذري وأخذت قدمي تتحسس ما تبقى من أرض جافة مستنداً حيناً

الرمادية وتلطيخ ثواب زملائنا ميسورى الحال.. وكنا وقتها نمارس الحقد الطبقي دون أن ندرى.. كان أحذنا يسحب أحد هؤلاء الأولاد إلى قرب بركة الماء مفتعلًا حدثًا ما.. وما إن بعطنينا الولد ظهره حتى تنهال عليه الصواعق المائية تدقنها بأحجار ثقيلة تطرطش عليه فيملاً شعره ووجهه وثيابه بالماء الفذر فيسب أبائنا مهدداً بإنما بالنظر ونستلقى على ظهورنا من الضحك.. نست أنسى ذات يوم نقل الواجبات المدرسية. اخترت موضعًا زلاقاً بالطين وافتعل زحلقة مروعة فتبعرت بحقيقة على الماء حريصاً على تمرير أكبر قدر من ثيابي وكشكيلى.. أدخل على المدرس وسط ضحك الزملاء وقد استحلت مخلوفاً قذراً وأنا أبكي بحرقة يسبقني جعير محروق ولا يملك الأستاذ إلا أن يطيب خاطرى وأنا أوكد له أسفى على الواجب الذى سهرت عليه ليلة أمس فيعطينى أجازة. أذهب إلى البيت وأغير ملابسى.. وأشكره في أدب لا نظير له.. وزملائي يتغامزون ويتألمزون ويلعنونى.

.....

في عز المطر يعتذر الأغنياء عن مواعيدهم العاطفية خلال أسلاك التلفون وهم قابعون تحت البطانيات الصوفية المشتعلة دفناً.. أما

إلى بعض الطوب حتى عبرت إلى الشارع الرئيسي كانت محطة الأتوبيس مقفرة من الناس الذين هربوا إلى مدخل العمارات الفريدة يختبئون من البلل.. نم أحد مكاناً خالياً فوقفت تحت المطر انتظر الأتوبيس وأفكر في رموشك الجميلة.

في عز المطر يذهب أبناء الأغنياء بالعربات الفاخرة إلى مدراسهم هازئين من الجو يستلقون على المقاعد الوثيره بطونهم دافئة بستديوشات الجبنة الشيدر وترامس الكابتشينو والشاي الحليب.. وايتسامات متهدية تماماً وجوههم المتوردة.. خروجي اليوم إليك يذكرني بنا نحن الفقراء أطفالاً عندما كنا نذهب إلى المدرسة في الصباحات الممطرة.. نعشى كالمجانين في الشوارع حاملين أحذيةنا في أيدينا وحقائبنا المتهمنة مليئة بالكتب وستديوشات الجبنة القريش مع بعض الخيار تنقل ظهورنا وأقدامنا تخوض في برك الماء المتتسخ ونرش بعضنا بالماء.. نهزأ من أحد المارة ينظر لنا بوجه متجمهم خوفاً أن يصيبه بعض الماء ويقول لنا 'مثل تخلوا بالكم من الجرائم' نتمهزأ به فنقول بلهجة فلاحية ساخرة 'أوعى يا واد يا عيد من البليارسيا ياوله.. إذى ظهرك للترعة' فيضرب الرجل كفأ بكف لاعنا التربية الوسخة.. في ساحة المدرسة بركة ماء ضخمة تعطى فرصة لا تقاوم في مسابقات

أذا فلا أملك إلا أن أجيب موعدك. ليس لأنى لا أملك تليفونا ولكن لأنى لا أضيع فرصة لقائك حتى لو كانت في الجحيم ذاته. أفذ بنفسي في الأتوبيس وسط الأجساد المتلازدة.. أتجاهل الإنبعاثات العنيفة مفترضاً حسن النية تدفتقى الأنفاس الملتصقة بي لكنها تقرضي ويهرشنى شيئاً ما في قدمى فأعجز عن بلوغه بيدي فاحاول ذلك بقدمى لكنها تقع على حذاء واقف بجوارى.. يزغرتى ببصره فأنسى الهرش وأبتسم. لست أدرى ما الذي جعلنى في مثل هذا الموقف أتخيلنى وسط مروج خضر تجرى من حولها الأنهر أغنى لك بصوت ملوه الحنان ولا خوف فيه أغنية فيروز الشهيرة (راجعين يا هوى راجعين) زال تخيلى تماماً مع رائحة غير عاطفية بالمرة أطلقها أحدهم مساهماً في زيادة دفع الجو المحيط بنا.. استنشقت الرائحة متهملاً ورجحت أنها ذاتية عن طبق فول بابصل الحراق - وكأن الفقراء يأكلون غيره .. يقولون أن الفقراء لم يعد لهم عيش في هذا البلد.. هل تصدقين ذلك.. أنا شخصياً لا أصدق وإلا كيف عاش أجدادنا في عهود المجاعة وعصور الجفاف وأزمنة فراقوش ومن على شاكلته.. لن أسترسل في الحديث عن السياسة في الأتوبيس لأننى أكره حدث السياسة في الأماكن المزدحمة لأسباب أنت تعرفينها.

يصل الأتوبيس بعد لاي إلى الجامعة أحشر نفسي مع النازلين.. يسكنى الهواء البارد وتنهمر على جسدى رشقفات المطر.. أعبر الشارع مسرعاً حذراً.. أستشعر تقللاً في أنفى.. هي بشائر البرد دون ريب.. يعقد البرد معى دوماً معاهدته أزليه.. يزورنى مع تباشير الشتاء فيطبق على أنفاسى حتى بزوج الربيع.. ولا مانع من زيارات متكررة بقية العام.. حسن.. لنقل في رومانسية مفرطة.. ماذا يضير البرد وشمسيك ستدفع روحي عن قريب. آخر البطاقة الجامعية لموظف الأمن المتجمهم دوماً.. أسير متلفتاً في بلاهة.. هل أطمع أن تأتى مبكرة عن موعدك.. مبكرة بنصف ساعة.. لا أعتقد.. أذكر أنك سقطتين رحلة أفسى من التي قطعتها.. تأخذتى القشعريرة وأنا أتخيلك في زحام الأتوبيس.. وأنا أتخيلك مع وحوش أعماها الشيق عن كل شيء.. وأنا أتصور الرياح المتلاجة تعصف بجسدي الضئيل.. يمنعك حمل أوراقك من إدخال كفك في جيبيك طلباً لبعض الدفء.. يسرى الصعيق في عروقك.. والمطر يتساقط على وجهك النوراني.. ينتهك حرمانه ويحيل حمراته الأثيرية لدى إلى شحوب برضه ساحبه.. ليتني كنت مظلة تطير فوقك دون أن تكافي نفسك حتى عذاء حملها تتفاوت

عنك حبات المطر تستتها يميناً وشمالاً. أونسمة هواء دافئة تمنحك بعض الذهاب فتسيرى فى ارتياح مسرعة حتى أراك.

قطع حبل التمنى لدى مشكلة عويصة تستجد ببرؤساتى لمكان لقائنا المنتظر.. مكان مكشوف لا سائز به يدرأ عنى هجمة المطر الذى لا يهدأ.. لو توقيعت ذلك لقلت لك نلتقي تحت القبة عند قاعة الاحتفالات الكبرى نجلس عند بابها كما يفعل الباقون من عشاق الجامعة.. لكنك كنت سترفضين لا شك.. تتجنبن دائماً أى تشابه مع قريئناتك من البنات ذوات الملابس المتهتكة والماكياج الرخيص الكثيف.. يلزقون فى أجساد أصدقائهن ويضخكن متغنجات ثم يبكون بدموع وهمية.. ولا تحرر خودهن إذا ما زحفت الأيدي نحو أيديهن أو حتى نحو أفخاذهن.. أما أنت فخلق آخر.. سكة ثانية.. ليس فيها إصطناع أو غنج ورخص.. تحافظين دائماً على مسافة ثابتة بيننا وترفضين دائماً أن تجلس.. تصررين على الوقوف لكي لا يفهمنا الناس خطئاً كما تقولين.. كنت أتضارب بادئاً بسبب ما تعودت عليه مع الآخريات.. لكننى أصبحت أنتيه فخراً بعدها عندما أرى نظرك المتبولة عندما يزيد إقترابى منك عن الحد المأمول.. تملأ قلبى طمأنينة لا حد لها.. وتتفتح أمام عينى طرق آمنة لا نهاية لمستقبل مشرق نظيف لم أحلم به قبل رؤيتك.

حسناً إذن سأتحمل كل هذا المطر لوحدى.. لا يهم.. عقارب الساعة تزحف ببطء نحو موعدنا.. كأنما الصفيح أتقل حركتها فسارت ببطء حتى ثبتت أقصرها عند تمام التاسعة بينما واصل الآخرون حركتهم البطيئة مع تقاؤت غير بعيد الأثر.. لم تصلى على غير عادتك فى الإنضباط أو المواعيد الإنجليزى كما كانت أسميك كلما عانبتنى على تأخر دقيقة أو دقيقتين.

عقارب الساعة يواصل بطئها اللعب بأعصابى.. فأقطع مللى بذكر فيروز مجدداً وهى تغنى عن تلك الفتاة التى (نظرت) حبيبها بالصيف والشتاء.. إبتسمت لإنقلاب الآية وأنا أترنم (حبتك بالصيف.. حبتك بالشتاء).. المطر واصل عمله دون كلل ودون أن يعبأ بملابسى التى نفذ الماء منها إلى داخلياتي.. ملابسى الداخلية وليس داخليات جسمى بعد.. أو أصل الغناء مما زاح نفسي الأمارة بحبك (ييجي هاك الولد من بيته العتيق.. وتنقول له انطربنى وينظر عاطريلق وتروح وتساه ويدبل بالشئ)..  
أطرب خاطر الذبول بالشتاء من مخيالى رغم مرور ربع ساعة على موعدنا الأصلى مطمئناً نفسى أن الذبول يفترن عادة بالجفاف والفحولة- آتية من قاحل- أما أنا فكيف أذبل وملابسى لو عصرت لملاكت كوزاً كبيراً بالماء حتى الشملة.

محمول على الأكتاف أزعق بأعلى صوتي "لقد خلقنا الله أحرازاً ولن نورث بعد اليوم.. مصر والسودان لنا وإنجلترا أن إمكاناً.. تعلن شركة قناة السويس شركة مساهمة مصرية يختلط لدى حابل الوطنيين ببنبلائهم.. المهم أنت كنت أهتف لمصر وأنت تهتفين باسمي خلف مشربيه .. بعد لحظات رأيتك وأنت تقودين مظاهرة لغوانى يتحججه وأنا واقف أقرب جمعونه .. ثم رأيتني في قناة الجزيرة وأنا أخطب في برنامج الاتجاه المعاكس ضد معاهدة كامب ديفيد واتفاقية أوسلو ووادي عربة وأنت تشاهديني في للديفنج روم وأنت حامل فتر غرددين وتهتفين لي وتدعين الله أن يحفظني ذخراً لمصر .. أعود من خيالاتي لأنظر للناس يمشون حولنا فاسأل نفسى في فخركم من هؤلاء الأغنام السائبة يتذكر مصطفى كامل أو حتى يعرف عنه شيئاً .. لربما لو سألت شاباً من هؤلاء عن مصطفى كامل لقال لك : آه بارب له أغنية السلام لمانه... ترى ياقمرى هل يتحدث أحد من العاشقين في دنيانا عن مصطفى كامل وما فعله لمصر مثل ما فعل اسم النبي حارسنا وصائتنا.. ربنا يخلينا لبعض.

مع تمام التاسعة والنصف أعلن تشبثي بحبك حتى النهاية.. لكننى لتساءل بالحاج عن سر تأخرك.. نتزاحم فى مخيلاتى إحتمالات

تشاغلت عن حالى بتذكر الخناقة التى اشعلتها مع أخيك الأكبر حول مصطفى كامل.. أسألك بجدية مصطفى كامل اللي بيغنى فتظررين لي في دهشة لمصطفى كامل.. الزعيم الوطنى الكبير .. أستغرب في داخلى.. وأطلب تقضيلاً فتحكين كيف سخر من فيلم مصطفى كامل الذى عرضه التلفزيون مؤخراً وكيف انتقلت سخريته من أداء الممثلين إلى مصطفى كامل وكيف قال في تبجح - كما وصفته - "عمل إيه للبلد سى مصطفى ده.. كلهم كداين بياعن هوا" وكيف دخلتى فيه شملاً مذكرة بدور مصطفى كامل الوطنى.. مصمص شفته إستهزاءاً "أهوه كلام مدرسين التاريخ ده هوه اللي واكل دماغكم" لم تسكتي.. اندفعتى في حماس على الأقل عمل حاجة لبلده.. أحسن منه مالكش غير القعاد على القهوة .. شتمك هاماً بضربك لولا تدخل أخيك الأكبر .. ولنلقتنى أنتى بالبكاء على مصطفى كامل وفرأت له الفاتحة.. نتزاحم كلمات الإعجاب والحب والفرحة على لسانى فأخرج منها ما تيسر وما لا يتجاوز الحدود.. أسألك عن مصطفى كامل فتوذدين حبك له منذ قرأت عنه في المدرسة.. وكيف أنه مات شاباً وهو يضحي من أجل وطنه.. احسده وتقفز إلى خيالي صورتى وأنا أقف في حشد هائل من الناس بساحة الأزهر يشتعلون حماسة ووطنية وأن

أنت عندما تسمع أنا لك على طول تفكير فيك .. كم مرة لمست  
يديك قصداً بدعوى أنها صدفة.

كم مرة .. دائماً أنت

كم مرة .. دائماً أنت

كم مرة .. دائماً أنت

أنت المستفرد بصاباتك المتوحد بعنانك المستوحش نيلاً المهروـل  
 صباحاً مليئاً شوقاً القريب دموعاً مليئاً وجداً ... ووهما.

ما هذا الكلام السخيف .. لماذا تركت الشيطان اللعين يستبد بك ..

لماذا اندفعت وراء خطيئة الغضب ورحت تتأثر لنفسك منها لمجرد  
أنها تأخرت عليك فرحت تهلهل قصة غرامكما الجميلة وتنسى كل  
لحظة حلوة عشمها سوياً ولا ترى في عينيها الحبيبين إلا الفدى  
.. ألم لك.

يُخرب بيـت أمك يـاله .. ليـه الليـ موقـك هـنا فيـ الطـلـ  
فجـأة قـفـز صـوت حـسـين درـدير زـمـيلـنا فيـ الكلـيـة لـيـوقف صـراعـ  
الـغـرامـ والـكـرـامـةـ فيـ دـاخـليـ، دـهـمنـيـ صـوـتهـ أـولاـ قـبـلـ أنـ يـدخلـ هوـ  
بـسـلامـهـ إـلـىـ الـكـدـرـ يـسـعـيـ مـصـدـراـ لـلـكـونـ اـبـتسـامـةـ غـيـثـةـ، لـمـ يـكـنـ  
يـنـقـصـنـيـ إـلـاهـ، أـيـ صـبـاحـ عـجـيبـ الشـائـنـ هـذـاـ، رـبـنـاـ يـعـدـيهـ عـلـىـ خـيـرـ ..

الـمـرـضـ فـأـطـرـدـهـ - صـحـتـ حـلـوةـ وـالـحـمـدـ لـهـ - وـاحـتمـالـاتـ  
مـمـانـعـةـ الـأـهـلـ فـأـسـبـعـهـ - لـمـاـ سـيـمـانـعـونـ فـيـ هـذـاـ الـيـوـمـ بـالـذـاتـ -  
وـاحـتمـالـاتـ زـحـمةـ الـمـواـصـلـاتـ فـأـنـفـيـهـاـ - الـمـسـاقـةـ مـنـ الـتـونـسـيـ إـلـىـ  
الـجـامـعـةـ لـاـتـجـاـزـ بـأـيـ حـالـ مـنـ الـأـحـوـالـ السـاعـةـ هـذـاـ لـوـ كـنـتـ مـاشـيـةـ  
فـمـاـ بـالـكـ بـالـأـتـوـبـيـسـ الـذـيـ يـأـخـذـهـ فـيـ رـبـعـ سـاعـةـ وـنـيـفـ.

.. معـ حلـولـ العـاـشـرـ إـلـاـ الـرـبـعـ بـدـأـتـ الشـكـوكـ تـشـوـرـ فـيـ نـفـسيـ  
تـلـومـنـيـ وـتـشـدـ أـذـنـيـ لـأـنـنـيـ أـرـفـضـ دـائـمـاـ أـنـ أـصـونـ كـرـامـتـيـ مـنـ قـبـلـ  
حـبـيـ، تـقـولـ لـيـ نـفـسـيـ اللـوـامـةـ: كـمـ مـرـةـ فـيـ مشـوارـكـ العـاطـفـيـ  
الـدـامـيـ مـعـهـ ضـبـطـتـهـ مـتـلـبـسـ بـانتـظـارـكـ، وـلـامـرـةـ .. دـائـمـاـ أـنـتـ الـذـيـ  
تـتـرـقـبـ حـتـىـ تـوـجـعـكـ رـقـبـكـ، دـائـمـاـ أـنـتـ الـذـيـ تـكـتـبـ لـهـ قـصـادـكـ  
الـغـرامـ وـالـحـبـ وـالـشـوقـ .. كـمـ مـرـةـ فـيـ مشـوارـكـ العـاطـفـيـ الـدـامـيـ  
مـعـهـ ضـبـطـتـهـ مـتـلـبـسـ بـكـاتـبـةـ قـصـيـدةـ فـيـكـ .. قـصـيـدةـ إـلـيـهـ .. قـلـ مـنـيـ  
كـتـبـتـ وـلـوـ بـيـتـاـ مـنـ دـورـ وـاحـدـ. كـمـ مـرـةـ حـدـثـكـ عـنـ أحـلـامـهـاـ  
يـمـسـقـبـلـكـمـاـ سـوـيـاـ .. كـمـ مـرـةـ سـأـلـتـكـ عـنـ الـأـسـماءـ الـتـيـ سـتـطـلـقـهـاـ عـلـىـ  
أـطـفـالـكـمـاـ .. كـمـ مـرـةـ تـخـيـلتـ مـعـكـ شـكـلاـ لـعـشـ الـعـصـفـورـ الـذـيـ  
سـيـجـعـكـمـاـ .. كـمـ مـرـةـ قـالـتـ لـكـ أـنـ شـعـرـكـ شـكـلـهـ حـلـوـ الـيـوـمـ .. كـمـ  
مـرـةـ قـالـتـ لـكـ أـنـ فـيـ عـيـنـيـكـ حـزـنـاـ يـأـسـ قـلـبـهـاـ .. كـمـ مـرـةـ قـالـتـ لـكـ

أنا.. ليس كذلك.. ما الذي يحدث لي .. هل أنا الآن أتكلم أم أستمع  
أم أطم على خودي ..

فاكر ياله أيام الكلية .. ما وحشتتش .. فاكر البت أميرة اللي  
كنت بتحبها .. يابن الدين .. عمري ما شفـت حد حصل له اللي  
حصل لك .. لحد دلوقتي ماعدش عليا حكاية زي حكايك ..  
تديك الصابونة يوم مانطلع النتيجة .. قعدت تعمل لها في  
ملخصات ومذكرات لحد ماطلعت الثانية على الدفعـة زيـك بالضبط  
بنفس تقديرـك ودرجـتك .. زي مانكونوا شاخـين في بقـ بعض  
وبعـدين شاخـين في ورقة الإجـابة سـوا .. عمرـها ماحصلـت دي ..  
فاـكر ياعـيني لما جـيت الكلـية جـري شـايل جـرـنان الجـمهـوريـة عـشـان  
توريـها صـورـكـو اللي نـزلـتـ معـ نـتيـجةـ أوـائلـ كـليـاتـ الجـامـعـةـ .. إـيهـ  
يـالـهـ اـنتـ فـقـدـتـ الـذاـكـرـةـ وـلاـ إـيهـ .. فـاـكـرـ لـماـ لـقـيـتهاـ بـتوـزـعـ  
شوـكـولـاتـةـ خطـوبـتهاـ عـلـىـ اـبـنـ خـالـتـهاـ سـعـيدـ .. فـاـكـرـ لـماـ قـلـنـاـ لـكـ لـوـ  
عـيـطـتـ هـنـضـرـبـكـ .. فـاـكـرـ لـماـ جـرـيتـ عـلـىـ الصـبـورـةـ بـتـاعـةـ السـكـشـنـ  
وـكـتـبـتـ أغـنـيـةـ حـبـبـيـ سـكـرـ مـرـ طـعـمـ الـهـوـيـ .. فـاـكـرـ لـماـ دـخـلـتـ عـلـيـكـ  
الـسـكـشـنـ قـرـتـ الـلـيـ اـنـتـ كـتـبـتـهـ وـاـنـكـ حـتـةـ شـكـولـاتـةـ .. يـخـربـ بـيتـ  
أـهـلـكـ يـالـهـ .. كـنـتـ فـاـكـرـكـ مـشـ هـنـقـومـ مـنـهـاـ .. بـسـ طـلـعـتـ رـاجـلـ

نم أجـدـ مـاـقـولـهـ لـهـ سـوىـ هـمـهـاتـ لـامـعـنـىـ لـهـاـ لـمـ تـقـلـحـ فـيـ جـعـهـ  
يـخـرسـ فـمـهـ .. عـاجـلـنيـ بـطـعـنـاتـهـ وـاحـدـةـ تـلـوـ الـأـخـرـىـ دـونـ لـنـ يـدـعـ  
لـيـ فـرـصـةـ لـمـاـ هوـ أـكـثـرـ مـنـ الـهـمـهـاتـ .. إـيهـ اللـيـ مـبـهـلـكـ كـدـهـ يـالـهـ  
.. أـمـالـ إـيهـ اللـيـ بـيـقـولـوهـ إـنـ حـالـكـ اـتـعـدـ وـبـقـيـتـ صـحـفيـ قـدـ الدـنـيـاـ ..  
يـخـربـ بـيـنـكـ .. تـلـاتـ سـنـينـ مـاـشـفـتـكـشـ .. مـشـ تـبـقـيـ تـسـأـلـ عـلـيـنـاـ يـالـهـ  
.. إـيهـ اللـيـ رـجـعـكـ الـكـلـيـةـ تـانـيـ .. جـايـ تـلـعـ شـهـادـةـ مـ الـكـلـيـةـ وـلـاـ  
تـعـمـلـ حـوارـ مـعـ دـكـتـورـ مـنـ الـذـكـاتـرـةـ .. مـاـتـعـمـلـ حـوارـ مـعـ أـخـوكـ  
حـبـبـيـكـ .. مـاـنـاـ بـرـضـهـ مـعـيدـ وـمـسـيرـيـ هـابـقـيـ دـكـتـورـ وـلـاـ أـنـاـ مـاـنـفـعـشـ  
.. مـاشـيـ يـاعـمـ بـرـاحـتـكـ .. إـنـتـ عـاـمـلـ إـيهـ دـلـوقـتـيـ

تـبـدـلـتـ الـأـرـضـ غـيرـ الـأـرـضـ وـالـسـمـاءـاتـ وـالـبـنـيـاتـ وـحـبـاتـ المـطـرـ  
وـبـلـوـزـاتـ الـبـنـاتـ وـأـورـاقـ الشـجـرـ وـطـينـ الشـوـارـعـ .. تـفـاصـيلـ عـادـتـ  
إـلـىـ الـذـاـكـرـةـ فـجـأـةـ لـتـزـاحـمـ مـعـ تـفـاصـيلـ أـخـرـىـ قـدـيمـةـ كـانـتـ هـيـ الـتـيـ  
تـتـصـدـرـ وـاجـهـةـ الـذـاـكـرـةـ .. وـجـهـ حـسـينـ درـدـيرـ اـخـتـفـىـ وـحلـتـ مـكـانـهـ  
عـلـمـةـ اـسـتـفـهامـ .. هـاهـيـ أـرـاهـاـ جـيدـاـ .. حـتـىـ بـأـمـارـةـ النـقـطةـ الـتـيـ  
أـسـفـلـهـاـ .. غـرـبـيـةـ هـلـ لـازـلتـ وـاقـفـاـ فـيـ مـكـانـيـ أـسـتـمـعـ لـابـنـ الـوـسـخـةـ..  
إـذـنـ مـنـ هـذـاـ الـذـيـ يـذـرـعـ الـجـامـعـةـ جـارـيـاـ يـاكـيـاـ .. أـلـاـ يـشـبـهـنـيـ .. إـنـهـ

ياله ولو إنك ساعات بتحن للخولنة وتنكتب عنها في العمود  
بتاعك.. دي مانستاهلش اللي زيـك .. انت عرفت إنها اتطافت ولا  
لا .. أهي دلوقتي حـة مذبحة معفنة في صوت العرب كل اللي  
بتعمله يقول كنتم مع موعدكم الآـن مع .. ده انت أمـك داعـيـلك ..  
شوف ربنا كرمـك إزـاي .. إيه يـالـه مـالـك .. انت مـبـهـدـلـ نـفـسـكـ كـدـهـ  
ليـه .. هـدوـمـكـ مـبـلـوـلـةـ كـدـهـ ليـه .. إـنـتـ كـنـتـ وـاقـفـ فـيـ المـطـرـةـ.

شارع سعد زغلول

٢٠٠١

## وجه في السماء

"الـليـ يـبـصـ لـفـرـقـ يـتـعبـ"

كم أحب الكتابة في ضوء القمر .. دافقة تجبي الكلمات تحت ضوئه. كأنه يمدك بقوة خاصة أو ينفتح في كلماتك شحنا فريدا يشعـل الحياة في ما تكتبه. عزمت اليوم على الكتابة.. كنت أستبشر بالليلي المفمرة الخالية من السحب. رتبـت أفكارـي.. تخيلـت لـحدـاث قصـة طـولـية.. جـهزـت أـقلـامـي وأـوارـقـي.. أـخذـت مـلاـءـة قـديـمة وـاتـجهـت نحو النـهـر.. سـتـكون قـصـة فـريـدة تلك الـتـى تـكـتب على شـاطـئ النـيل وـتحـت ضـوء القـمـر سـتـبـز كل ما كـتبـ السـابـقـين. فـرـشـت مـلاـعـنـى.. رـتـبـت جـلـسـتـى ثم رـتـبـت أفـكارـى.. نـزـعـت غـطـاء القـلم جـربـتـه.. كـتـبـت رقم (١) في مـطـلـع الصـفـحة.. سـمـيت الله.. نـظـرـت إـلـى النـهـر.. وـضـعـت يـدـى عـلـى مـطـلـع الصـفـحة النـاصـعة.. بـدـأـت في الكـتابـة (تفـنى الذـكريـات ولا يـدـوم إلا وجـهـها المنـيرـ..) هـمـمت أـنـ أـواـصلـ لـكـنـ الصـفـحة أـظـلـمـتـ فـجـأـة.. كـذـلـكـ المـكـانـ منـ حـولـى.. رـفـعـت بـصـرـى إـلـى السـمـاء.. لمـ أـجدـ القـمـر.. كانـ قدـ اـخـتـفى خـلفـ سـحـبـ دـاـكـنـة لاـ أـدرـى مـنـ أـينـ جاءـتـ.

ضرـبـتـ القـلمـ في صـفـحةـ الاـورـاقـ مـغـنـاظـا.. رـفـعـتـ نـظـرـى مـرـة ثـالـثـية.. تـأـمـلتـ تـشكـيلـ السـحـبـ حـانـقا.. صـعـقـتـ.. خـيلـ إلى لـوهـةـ أـنـهـاـ اـنـتـظـمـتـ عـلـىـ هـيـئةـ وـجـهـ مـخـتـلطـ المـلـامـحـ تـطلـ مـنـ إـيـسـامـةـ سـاخـرـةـ مـتـحـديـةـ وـلـاـ يـطـلـ القـمـرـ مـنـ خـلـفـهـ.

دققت النظر أكثر من مرة.. ثبتت من ظني.. تسلل الخوف إلى  
داخلي.. جمعت أوراقى بسرعة.. نظرت حولى فى فزع.. طويت  
الملاعة وغادرت المكان مسرعا.. لكننى تذكرت أننى نسيت قلمى  
عدت مسرعا لأخذه.. بحثت عنه فى كل مكان فلم أجده..  
نظرت إلى السماء.. كانت السحب قد اختفت فجأة.. فكرت فى  
العودة إلى الكتابة.. لكننى كنت قد فقدت قلمى..  
استدررت عائدا.. ومن داخل النهر اتبعت صوت من مركب تحمل  
تابوت ميت: وأهله يرحنون إلى الضفة الأخرى حيث المقابر..  
جاعني الصوت هادرا:

(يا دائم.. أنت الدائم.. ولا دائم إلا الله)  
أسرعut فى الرحيل.. غامت السماء ثانية.. هممت أن أنظر  
إليها.. لكن قلبي أنقبض.. فلم أفعل..  
يادايم .. أنت الدائم .. ولا دائم إلا الله

أوراق سرية تنشر للمرة الأولى والأخيرة من ملفات التحقيق الذي تم إيداعه

في غياب النسان

رأس البر  
١٩٩٤

ليلة اغتصاب مادلين أولبرايت!

## ـ فقرات من الصفحة التي تم إنقاذها من مذكرات كبير

مساعدي سموه السيد نصیر ساویرس:

"...لست أدرى أي عفريت ذلك الذي ركب سموه في ذلك اليوم الأغبر، أقسم بكل المقدسات أنني لو كنت أعرف أن الأمور ستصل إلى ما وصلت إليه لما قمت بإتمام ذلك اللقاء من أصله ليا كان الثمن الذي كنت سأدفعه، لكنني قد اعتذرت للأمريكان بأن وعكة صحية طارئة أصابت سموه، حتى لو كنت متأكداً أن لديهم اتفاق تفصيلي عن حالته الصحية لحظة بلحظة، لكنني كان لابد لا يسمح لذلك اللقاء أن يتم.

الآن وبعد أن حدث ماحدث أتعجب كيف لم أنتوقع أن شيئاً غير الطبيعي سوف يحدث، كيف وأنا الذي لاحظت أن سموه منذ أن عرف بموعد اللقاء المرتقب مع مادلين قبل أسبوع كامل من اللقاء أصبح شخصاً آخر غير الذي أعرفه. كيف تعاملت مع كل تصرفاته المريمية بشكل عادي، لماذا اعتبرت أنه من الطبيعي أن

بفبركة الصورة، وبحماس شديد شرح لي سموه كيف اكتشف تلك الفبركة بعد طول تمعن، حيث اكتشف أن هناك تنوعاً بارزاً فوق ركبة مادلين كان يرآه دائماً في صورها وكان يعتبره محبياً إلى نفسه، لكنه اكتشف عدم وجوده في صورة الباباراتزي التي دفع ثمنها غالياً وفقدت بسبب عدم احتوايتها على التنوع جزءاً كبيراً من سيمون أبيلها. وقتها تعاملت أجيرتها مع الموقف بما يستحقه وأخذت حق بلادنا من المصور اللعين الذي مات في حادث سيارة في نفس النفق الذي استشهدت فيه المرحومة ديانا وهو مأصر عليه سموه الذي هدا نفساً عندما قام واحد من أبرز خبراء التصوير الفوتوغرافي وخدع الجرافيك بعد عمليات فنية معقدة تكفلت مبالغ طائلة بالإضافة للتنوع إلى الصورة كحل مسكن إلى حين حضور مادلين نفسها بذنوها ذات نفسه إلى بلادنا.

الذكريات تدعى إلى ذهني الآن وتکاد تقتلني غماً. كيف غاب عن ذهني ذلك اليوم الذي كاد سموه يبكي فيه بين يدي وهو يقول لي بتاثير بالغ "أخذ هذه السيدة ستقتلوني يانصير .. منذ أن تولت منصبها في الأمم المتحدة وعندما كنت أراها في نشرات الأخبار كنت أقول لنفسي مستفزًا مبالٍ هذه السيدة الحيزبون تفخر بلحماها الجللي المتجلد .. لماذا لا تستر نفسها وتنستر سمعة بلادها التي

يقوم بتوكيل مسئولي التلفزة في البلاد بإعداد شريط فيديو كليب مصور لجميع اللقطات التي ظهرت فيها أخذ السيدة مادلين أثناء لقاءاتها الرسمية منذ أيام عملها في الأمم المتحدة وحتى آخر لقاء مداع لها عبر وكالات الأنباء عند زيارتها لجيراننا.

كيف تعاملت بشكل طبيعي مع قيامه بإرسال طائرة خاصة إلى فرنسا لحضور واحد من أشهر مصوري من يطلق عليهم الباباراتزي، والذي يقولون أنه هو الذي التقى أشهر نصور الغرامية للفقيدين ديانا ودوودي، وقام سعادته بدفع مبالغ طائلة له مقابل أن يحضر له صورة عارية أو شبه عارية أو حتى بقميص النوم لمادلين، ولم يكن الرجل خبراً فأحضر له صورة لها وهي ترتدي مايسونه لدينا في الإسكندرية بالشلح أو الكومبيليزون، وقتها ظهرت لها نوعاً من دعابات سموه الثقيلة خاصة عندما أمر سموه بتغيير الصورة بحجم يقارب حجم شاشة السينما وقام بتشويتها على حامل إعلاني مواجه لنافذة غرفة نومه المفضلة لديه في قصره المنفصل لديه، لكي يطل على الصورة كل مساء عندما يستيقظ وكل صباح قبل أن ينام. لذكر يومها أنتي أصبت بذهول عندما استدعاني سموه بجدية شديدة ألققتني وقال لي أنه يطلب من المخابرات أن تقوم بتصفية الباباراتزي اللعين الذي خدعاً وفده

وينماكزي سحره .. كانت كلما اعدت في جلستها انقلب بداخلني  
الدنيا .....".

عندما أسائل نفسي الان: بعد كل مارأته وسمعته لماذا إذن لم  
تنقوع ماحدث، وأرد على نفسي بصرامة بعيدا عما كتبه قبل قليل  
محاولا إعطاء نفسي حجما غير موجود، حتى لو كنت قد توقفت  
ماكنت سأقدر على تغيير شيء، ثم إنني بصرامة وحيدة أو لادي لم  
أكن أتوقع ماحدث، ظننتها نزوة عابرة ستمر كغيرها، لكنني لم  
ادرك أن يأس سدوه من وصالها سيدفعه إلى فعل مافعله.

حكاية الوصال هذه الأخرى قصة لا يصدقها عقل، ذات ليلة غبراء  
سابقة لما حدث أرسل سموه في طلبي ليسألي عن أحد يعرف  
شيئا عن ستور بلادنا، قلبنا القصر بمن فيه وما فيه فلم نجد نسخة  
من دستورنا الذي لم أر نسخة منه منذ أن جاءتنا أول نسخة منه  
قبل اربعين عاما، أرسلنا في طلب عميد كلية الفنون لكتنا اكتشفنا  
أنه أستاذ أمريكي ادهش عندما عرف أن لدينا دستورا وأقسم أنه  
يسمع بهذا الكلام للمرة الأولى، بعد لأي افترحت حلا صعبا الإنقاذ  
الموقف، فمنا بالإفراج لمدة محدودة عن زعيم المعارضة القابع  
في الحبس الإنفرادي منذ ثلاثين عاما ونيف، ذلك الجماع الذي  
يتزعم حزب الحركة الدستورية المحظوظ كاد يأخذ حياته معه

لابن يعني أن تذكر إلا بكل خير .. ظل هذا موقفى عدة سنوات حتى  
جاء اليوم الذى اكتشفت فيه كم كان ما أعتقد جهلا فادحا مني ..  
وكيف أن كل ماكنت أدعوه من علم بالنسوان اتضاح أنه قبض  
الريح .. وكأنى لم أدخل دنيا قبل أن أراها .. كان لقاء سريعا  
على هامش زيارتى الأولى للمشاركة فى أعمال الجمعية العامة  
للأمم المتحدة .. لم تكن هي التي تتصدر اللقاء .. كانت تجلس  
إلى جوار وزير خارجية بلادها .. كنت أتحاشى النظر إليها لكي  
لانظر إليها نظرة احتقار قد تؤثر على مصالح بلادنا .. وربما  
كان حرصي على منع نفسي من النظر إليها هو الذي جعل عيني  
تنزلق إلى حيث انحسرت جيبتها الضيقة عن بواضن فخذلها ..  
لحظتها أضاء أمامي مابين المشرق والمغرب واندفع شلال من  
الدماء الحارة في عروقي التي حسبتها قد وهنت .. كانت ترطن  
وغيرها يرطن والمتربجون يرطرون وأنا أتردى في هوة سحرية  
لا فرار لها .. أحياول أن أكتب جماح رغبتي في إمعان النظر إليها  
بل إن شئت الحق في تقبيل فخذلها المستحيلتين .. بنت الصليبية  
كأنها أدركت حالي فأخذت تضع رجلا على رجل ليشتدى لي ذلك  
الثنوء الجبار وكأنه مارد من الجن خرج من قمقمه ليضعنى مكانه

الكثيرون حتى الآن عن سر اختفائه المفاجئ — لم يمسك عليه لسانه ويتق الله في أولاده بل قال لسموه أن ماتم نشره ليس سوى تخرية صحفية وأن مادلين متزوجة وأم أيضا وأنه شاهد بنفسه زوجها وهو يقبلها في عشاء عمل في واشنطن، وحتى هذا الجزء من كلام وزير الخارجية لم يكن هناك مشكلة بعد. المشكلة حدثت عندما افترض سموه على صديقنا الوزير المرحوم أن يرسله للتفاوض مع زوج مادلين لكي يطلقها طلاقها بائنة مقابل أي مبلغ من المال يطلبه أيا كان هذا المبلغ، عندها وقبل أن يفكر حتى في رد مناسب انتابت الوزير المرحوم حالة من الغضب الجنوني وأخذ يصرخ في وجه سموه "أنا لست قوادا .. ابحث عن غيري لهذه المهمة" وكانت تلك آخر كلماته قبل أن يختفي أو يختفي بمعنى أصح.

لم ييأس سموه بعدها بل أخذ يقترب إلى السفير الأمريكي في حركات تزلف مفضوحة لم تفت على خبث السفير الذي اتخذها فرصة لابتزاز سموه ماديا مقابل وعود ببذل أقصى الجهد نافلا لسموه معلومات مفبركة عن أن مادلين تكره زوجها وتعيش أزمة عاطفية حادة ناسبا إليها كلاما لا أساس له من الصحة عن رأيها في رجولة سموه وفحولة سموه ووسامة سموه. جمع السفير

بسبيب افتراضي للإفراج عنه لسؤاله عن الدستور باعتباره الوحدة الموجودة في البلاد الذي يمتلك معرفة أكيدة به، كان تتبع الأحداث قد أنساني سؤال سموه عما يريد معرفته من ذلك الحquier، لم أكن أتوقع أبدا أن سموه يريد أن يسأل أي شخص لديه فكرة عن الدستور حول ما إذا كان الدستور الحالي يجيز لسموه الزواج من أجنبية لكي يتم تغييره إذا كان لايجيز، لم يفوت الوعد المعارض الفرصة لحرق دم سموه حيث سد أمامه منفذًا كان يرنو إليه وأسمعه كلمتين بايخين، دون أن يعلم بأن سموه لا يأبه بمثل هذه السفاسف، فقبل أن يعود المعارض إلى سجنه كان الدستور قد تغير بوصفه كان العقبة الكثود التي تقف أمام استعدادات سموه لطلب يد مادلين من الرئيس الأمريكي الذي كان من الممكن أن يخرج سموه بذكر مسألة الدستور هذه.

كان سموه قد قرر أخذ هذه الخطوة الجريئة بعد أن قرأ في صحيفة عربية صفراء أو قرروا له بمعنى أصح أن مادلين أوبرايت لازالت آنسة حتى الآن، فهاج هيجانه وقرر لا ينقضى الليل إلا وقد حاز وصالها، واستدعي وزير خارجيتنا رحمة الله ليطلب منه تحديد موعد رسمي مع الأمريكيان لزيارة بلادهم وطلب يد مادلين. لكن وزير الخارجية المسكين — الذي يتسائل

فألا لا نا أنه لم يتم طيلة الليل، كان عصبيا بطريقة غير عادية، عندما افتح باب الطائرة وأطلت مادلين بفخذيها منه تخشب ملامح سموه تخبا أثار قلق الجميع ولم ينفك تخشه إلا عندما فاجأنا بأخذها لها بالأحضان في حركة فاجأت الجميع وقطعت البث المباشر للتلفزيون، ولو لا تدخلني لتفحيف التوتر بمداعبات لم أعد أذكرها من فرط سخافتها وكونها هراء لامعنى له لكن الموقف كان يحتاجها لتضحك مادلين في عصبية ويمر الموقف بسلام دون أن نعلم أن الأمور ستذهب إلى بعد مدى لها وأن ماحدث سيحدث.

- جزء من محضر جلسة لمادلين أولبرait مع طبيبها النفسي في كليفلاند (نشرته صحيفة ذي صن البريطانية بعد أن اشتربه بمبلغ خرافى من الطبيب وأثار نشره أزمة دبلوماسية حادة بين أمريكا وبريطانيا .. تمت ترجمته لضمها إلى أوراق التحقيق بعد حذف كل أسماء الأعضاء والتعابيرات الجنسية الصريحة واستبدال الشتائم بمرادفات كالتي تظهر في ترجمة الأفلام الأجنبية .. مع خالص الشكر لمعامل أنيس عبد لعونها):

الملعون من وراء هذه الأكاذيب مبالغ طائلة قبل أن يفاجئ سموه بأن قرارا صدر بنقله لسكنه سفيرا لأمريكا في تل أبيب وواعدا سموه المقصود بممواصلة مساعدته كرسول غرام بين الإثنين من خلال موقعه الجديد، بل وعرض تدبير لقاء سري بين الإثنين في فندق الملك ديفيد في القدس، وصدق سموه الأمر وأبدى موافقته ثم سافر السفير الملعون ومن ساعتها لاحس ولاخبر.

منذ ذلك الوقت دخل سياسته في اكتتاب حاد لم تفلج كل المحاولات التي بذلها جميع مسئولي الدولة في محاولة التخفيف منه، ووصل الأمر بسموه ذات مرة إلى لستدعاء وزير البحث العلمي والأدبي في البلاد ليطلب منه إجراء اتصالات مع أرقى الجهات العلمية بالخارج لبحث استنساخ نسخة طبيعية من مادلين، استمع إليه الرجل العاقل في صمت ووعده بكل خير، وسافر إلى الخارج ولم يعد إلى الآن.

منذ ذلك الوقت لم أر سموه مبتهاجا إلا عندما أخبرته بنها الزيارة المفاجئة لمادلين بينما بعد توليتها منصبها الجديد، انتابه في البدء تشنج ظاهر ثم كست الفرحة وجهه، وظل في حالة غير طبيعية حتى يوم وصولها الذي كان يوما له مابعده، كان في أسوأ حالاته منذ الصباح الباكر الذي أيقظنا فيه قبل شروق الشمس لتأتي إليه

لتوتسي وأعادني إلى أيام الجامعة عندما كنت أعيش ممارسة الجنس الفموي أسفل سالم سكن الطالبات، وأقسم لك أنه لولا حرارة الجو الرهيبة لكان ذلك الحضن الشره قد أوصلني إلى الأورجازم. عندما بدأنا المحادثات الثانية لاحظت أنهم وضعوا لنا كراسسي غريبة الشأن جعل الجلوس عليها مسألة تغطية ملابسي الداخلية أمراً صعباً، لكنني لم أمانع ولم أظن أن في الأمر شيئاً سوى المصادفة، منذ أن جلسنا سوياً كانت عيناه كجمرين من ملتهبتيں تسكنان فخذي وماحولهما، قلت لنفسي وما يضر من النظر، دعه ينثر دعه يمر، لكن الفار بدأ يلعب في عبي عندما قام بإلقاء قلم على الأرض ونزل لإلتقاطه أكثر من مرة، قررت أن اعتدل في جلستي وأضع رجلاً على رجل لكن فعل ذلك كان يتطلب مني أن أبعد بين قدمي أكثر، فجأة ودونما سابق إنذار وجدت ذلك الوغد العربي يقفز ليحتضن فخذي بعنف محاولاً تقبيلهما وهو يجهش بالبكاء ويصرخ تزوجبني ياما دللين تزوجبني، تجمدت أنا ومن حولي من الجانبين ذهولاً ورعباً، في ثوانٍ كان قد أشار بيده ليدخل حراسه محاولين إخلاء القاعة قسراً بينما هو يقوم بـ ... أوروه ، ماي جود ، جيسسس كريزد، آي كانت بيليف وات هابيند.

... فعلها الحقير ابن الساقلة.. عليه اللعنة .. فعلها معى أنا، أنا التي لم يجرؤ أعتى رجال الأرض على الإمساك ببنوئي لاغصبا عنى ولا بمزاجي، ذلك الجلف العربي عليه اللعنة، كم كنت مخطئة عندما لم أستجب لتحذيرات سفيرنا في تل أبيب الذي يعرف ذلك الوغد جيداً والذي نصحني بـ لا أظهر فخذي خلال المقابلة معه، سخرت مما قاله لي حول هيام الجلف العربي بي، قلت للسفير ولطاقم عمله أن إظهار فخذي بالشكل الذي تعودت عليه هو جزء لا يتجزأ من السيادة الأمريكية التي تعرى مشاعرت وتغطي على من شاءت، وأنه معنى سياسي مهم أن يصل جيداً إلى القوى الرجعية في العالم العربي ناهيك عن كونه طريقة في الحياة تعودت عليها منذ سنوات المراهقة. أوه يا الله، تسألني ماذا حدث حتى الآن لم أستوعب جيداً ماذا حدث، لم أكن أتصور ولا زلت لأنتصور كيف فقد ذلك الولد المطبع لنا دائماً عقله بمجرد أن وضعت رجلاً على رجل أمامه.. بالطبع كان ينبغي أن أتوجس شرًا منذ اللحظة التي احتضنني فيها متدفعاً ومستثاراً، لكنني قلت لنفسي أن سماحي بقليل من التحرش سيسهل لي مهمة الحصول على قبول الطلبات العديدة الصعبة التي كلفت بحملها إلى المنطقة، ثم لا أخفيك أن مافعله وقتها فور نزولي من سلم الطائرة داعب

# بنت الحل

"حب المرة (نقط)  
(نقط) المرة تحبك"

— منحوطة وجدت على هامش أوراق التحقيق بخط يد الصحفى الأمريكى البارز هيرش سيمور الذى تفرغ أكثر من عام محاولا إنجاز كتاب عن الموضوع دون جدوى:

يبدو أن أحدا لن يعرف ما الذى حدث لفترة طويلة قادمة، فانشاهد الرئيسى فى القضية نصیر ساويرس وهو الوحيد الذى كان حاضرا من الطرف العربى واقفه المنية فجأة، والمسئولون الأمريكيون ممنوعون بحكم القانون من التحدث فى أي تفاصيل خصوصا أن سموه لازال في كرسى الحكم بعد أن قام بتعيين رئيس الحزب الدستوري المعارض رئيسا للوزراء بعد إخراج من السجن بناء على طلب أمريكي. وبالتأكيد في يوم من الأيام ستتضخم تفاصيل ماحدث، على الأقل بعد ٣٠ عاما عندما تفرج الخارجية الأمريكية والمخابرات المركزية الأمريكية عن وثائق المرحلة فنعرف بالضبط كيف تم اغتصاب ماذلين، وهل ماذ كبير مساعدى سموه نصیر ساويرس غيلة وغدرا أم إثر تناوله جرعة زائدة من ماء الطرشى كما أعلنت الدوائر الرسمية لسموه وما الذى حصلت عليه ماذلين أولا ول الولايات المتحدة الأمريكية ثانيا لكي ترك أمرا خطيرا مثل هذا يمر بسلام.

كنت ولا زلت أرتكب الأخطاء بمحض إرادتي.. أندم حيناً ثم  
أغرق في قرار التوبة لتألفني موجة الخطأ من جديد، وهذا  
دواليك.. وكان ثمة ذكريات.. سحرها كان يغلق الباب دائماً في  
وجه الذكريات المرة.. لست أذكر متى ولد في واقعى طيفها  
الخلاب ولكن ما أذكره أنه كان ولا يزال وسيظل حدثاً بالغ  
الروعه والجمال. يتذبذب السحر من عينيها المسلمتين تدفق السيل  
العرم فيذهب زبد اليأس جفأً ويمكث حبها في أرضي البور  
ينفعها ويحييها ثم يميتها صباها ثم يميتها عشقها وهذا دواليك.  
منذ أن تشبت قلبي الغريق بأهداها الطاهرة كانت ثمة مسافات  
وحواجز تفصل بيني وبينها وكانت تلك المسافات والحواجز كثيرة  
على ما أذكر، لكنها كانت تزول وتختفي تماماً تحت ضغط قوة  
قاهرة أسلمت لها خطاي.. ولكنني ظلت مصمماً على ألا أعبر  
الحاجز الأكبر أبداً.

صحوت يوماً وفي خيالي أصداء حلم مبهر تزلزل كياني له طويلاً.. حلمت أنني أركب حصاناً أبلقاً - هكذا يحلو لي أن أصفه برغم أنني لا أعرف معنى أن يكون الحصان أبلقاً ولا أعتقد أنني سأتعرف على حصان أبلقاً لو قدر لي أن أمر إلى جواره - كان حصاناً جماله يخطف الأنفاس له غرة يرتسم عليها الأمل وله ذيل عملاق كفيل بطرد ذباب المخاوف أولاً بأول - لاتسألني عن الشيء الذي يجعلني متأكداً أن ذلك الذباب الذي رأيته في الحلم هو ذباب المخاوف -

رأيتها منتظرياً صهوة ذلك الحصان أخوض به لوحدي دون سيف أو عتاد أو رفاق في خضم جيش مدرج السلاح كثير العدد والعدة.. أمضى وأنا على صهوةه.. وهو يجذل الفرسان يميناً وشمالاً بذيله الذي تخلى عن مهمة إفقاء ذباب المخاوف واستحال سيفاً بتاراً أفقى ذلك الجيش عن بكرة أبيه.. وبعدها أخذ يطير بي فرحاً في صحراء خضراء سرنا فيها زماناً طويلاً حتى لاحت لنا قلعة ضخمة يخطف جلالها البصر فانطلقا سراعاً نحوها، وما أن اقتربنا من سورها حتى أشرق علينا من خلف ستائر غرفة مظلمة وجه به مثير أعرفه جيداً وعندني بهاءه بأمال مفرطة العذوبة.

هززت لجام حصاني أستحثه المسير، لكنني أنسنت منه ترداداً انقبض لي صدره، وما هي إلا ثوانٍ حتى حال بيننا وبين سور القلعة فراغٌ متاهيَّ بعد سقيق العميق تصرخ من داخله وحوش وغيلان وشياطين، وبهدوء في أعماقه السحيقة شلال دموع محرق يذيب كل ما يمر به.

وخلف ذلك الفراغ السحيق نلاشت القلعة الجليلة في لحظة كأنها سراب بقيعة، ولم تترك إثرها إلا صاحبة الوجه المنير ملقة على الرمال الحارقة..

لم تكن هي سوى محبوبتي الغالية.. لم تكن سوى أميرة التي تسكن في التونسي وتركت أثوابيس السيدة عائشة - بين السرايات كل يوم ولا تتضع أي نوع من أنواع الماكياج ولا تقلي الله في مطلقها.. أخذت الدموع تناسب من عينيها المتعبيتين وعلى إثر دموعها كان الشلال المحرق في الهاوية يزداد إشتعالاً وإستعاراً.. وأخذت تلوح لي بيد مشتاقة ضعيفة وصوت ملائع محتاج تسائلني العون وجسمها وجهها يتقدسان ذرعاً وخوفاً، وأنظر إليها ذاهلاً مستوحشاً بعد أن هلك جوابي من فرط الخوف والظماء، وهمت أن أطير إليها بجسدي العاري الموحل.. لكنني ترددت كثيراً لأنني عيّل وأعوّل ولا يعود على.. لكن بكاءها أشعل أوار عزيّمتى.. فقررت أن أطير إليها ولو بجسد خال الجناج معدم الحياة.. وما

يزلزل صوتها الحنون الهادر سدى المنيع فيغدو أثراً بعد عين..  
وأسمعها تقول لي بتصميم: إن حال بيني وبينك فراغ مهما بلغ  
بعده ومهما تناهى إنساقه. وإن وقفت بدربك نحوى سود يأجوج  
وماجوج.. فلا تفعل شيئاً سوى أن تغمض عينيك وتدع روحك  
تهتف بإسمينا معاً.

وما إن فعلت حتى أشرقت الأرض بنور متألق وقضى في أمرى  
بالعدل وتراءى لعينى النعيم المقيم.. وترددت في خاطرى حينها  
صوت أمى الحنون وهي تداعب شعرى بأصابعها الكهربائية  
المنتعشة وتقول لي: - أنت ولد طيب يا بنى.. وسيوقف الله فى  
طريقك دائماً بنت الحال.

الآن وبعد أن ضاعت مني أميرة لم أجد تفسيراً لذلك سوى هذه  
المعادلة المنطقية : بما إن الله سيوقف في طريقي دائماً بنت  
الحال وبما إن أميرة لم يوقفها الله في طريقي إذن فهي بنت  
حرام. وهو المطلوب اثباته بالتفصيل. د طث.

أن شرعت في ذلك حتى انتصب بيبي وبينها سد صخرى صد..  
نقشت عليه صور مرعبة لأحشاء ممزقة وأطفال انفطرت قلوبها  
من كثرة البكاء وكلمات كثيرة من بينها لا والتصيب والمال  
والمجتمع والناس وربنا عايز كده وصور جميلة لفرانكلين  
روزفلت وتوت عنخ آمون وقلعة محمد علي وفليكس الذي يلعب  
في الأهلي ولا يلعب الأهلي فيه.. أخذت أصطدم بالسد فيرتدى  
جسد العاجز ليترطم بالأرض في عنف.. ظلت أنطاخ رأسى في  
السد اللعين بعجز مهين حتى شج رأسى وكسرت رباعيني  
وأصببت بالفالج وعندها صحيت مذعوراً باكياً.

من بعدها لم تعد حياتي كما كانت .. ارتسם ذل الحاجز الأكبر  
في كياني مداً منيعاً يحجب دفء الشمس عن مسامي ويقتل الحياة  
في خلايا مشاعري.

وكلما اقترب موعد لقائي بمحبوبتي تتسلل أشعة من البهجة عبر  
شقوب ضئيلة في سد اليأس المنتصب في كياني.. وقلت لنفسي لو  
زال هذا السد يوماً لأتيح لي أن أغسل روحي في نبعها الطاهر.  
كلما أتقربها أتحدى كثيراً بحماس وإخلاص يخران صريعين كلما  
ذكرت حلمي وواقعي، فأصممت في إنكسار.. وبينما أنا كذلك إذا  
بالأرض تتبدل غير الأرض والسماءات شرحه - يعني تتبدل هي  
الأخرى .. وتتنفس روحي الظماء في ثبع حنان لا تنبهي  
عذوبته.

١٩٩٤/٦/٣٠

# دموع سمكة غريبة!

"الدنيا دي زي الخياره .. يوم في ايديك و يوم في نقطه"

سمح لى الزمان فجلست على شاطئ النيل لكن من غير جميل، إلا أن سحر شاطئ (الجريبي) أغناى عن جميل أجلس معه.. قدماء مدللاتان في الماء وتموجاته تصل إلى مشارف ركبتي.. هزني هواء (رأس البر) الماحر فأخذت (أبلبط) في الماء كطفل منتشر.. كانت سعادتي ملء ما بين الشطرين.. شهيتى مفتوحة على آخرها الهواء والماء والأشياء.. فرغ صدرى من فاقه وهمومه التي طحنته ليلة البارحة.. هل سينشر الموضوع أم لا.. هل سينشر كما هو.. هل سيظهر على الغلاف أم سيرمونه في آخر المجلة بأى بنط سيكتبون إسمى.. هل يسقط الإسم من المطبعة.. هل سيوضع في صدارة الموضوع أم في آخره.. هل سيكون التوضيب جميلاً أم منفراً.. نمت بصعوبة ولم يرحمني الداموس خاصة أنتى نمت بليوصا.. أيقظتني طرقات عنيفة على باب الغرفه رافقها صوت نسائي أحش: الساعة ١٢.. حتجدد ليجار الأودة.. يستعملتها عشر دقائق بينما كنت أعنها في سرى..

التحرير.. تسارعت دقات قلبي وكدت أقع من الفرحة .. لكنني  
أفقت منها على صوت البائع غليظاً متهكمًا بلهجته الدمياطية:  
- أحب لك قازورة وكرسي .. وتقراها هنا.

لم أكثرت به.. أخرجت نقودي وشتريت صحف الصباح وعلى  
أقرب دكّة جلست قرأت موضوعي مرتين تصفحت موقعه بين  
مواد العدد وقرأت إسمى للمرة الخامسة عشرة.. خيل إلى أن  
البنط أصغر.. حزنت للحظة.. ثم لعنت طمع الإنسان.. لو أعطى  
لابن آدم واديان من ذهب.. أعدت القراءة ثلاثة مرات وربما  
أكثر.

في المطعم أكلت كميات كبيرة وسط دهشة الناس من طريقة أكلِي  
للنهمة.. قلت:- في حالة نفسية كهذه لابد من (الجربى) وإن  
طال السفر.. في سيارة السرفيس فتحت المجلة على الموضوع  
وأملتها نحو الجالس بجواري وتصنعت الإهتمام بالموضوع.. لم  
آمس منه إهتماما.. أخذت أتمتم بصوت مسموع (يا ولاد الدين..  
مجلة ليس لها حل .. فيها صحفيين فراودة). التفت نحو النافذة  
الأخرى قرأت وجهه.. يتبين أنه لم يقرأ مجلات من أيام (الإثنين  
والدنيا).. بل لم يقرأ شيئاً من أيام المطالعة الرشيدة.

جمعت بقايا عشاء البارحة وأخذت دشاً وجمعت أشيائي.. نزلت  
إلى باحثة الفندق.. طلبت غرفة أصغر وأرخص.. صعد بي  
الصبي إلى غرفة حقيقة فوق سطوح الفندق.. رميت حقيبتي  
مسلمًا بينما كاد رأسى يلامس سقف الغرفة.. لكن إرتفاعها بشرنى  
بهواء رائع وسهر طويل.. دفعت عشرة جنيهات واستوقفنى  
صاحب الفندق طالباً مني بطاقة زاعماً أن ابنه لم يأخذ بياناتى  
بشكل سليم عندما جئت.. نظرت إليه بشفاق.. لا يعرف من  
يحدثه هكذا قلت لنفسي أعطيته بياناتى ومضيت أسابق الريح.

إندرعت إلى باحث الصحف.. قلت بلهفة:

- روز اليوسف جـ.

نظر إلى باستهانة وبخشوونة قال:

- ما هي متقدمة قدامك.

فسرت لحيته الكثرة وجلباه الأبيض الطويل عداء لهجته.. اخترف  
نسخة ودارت بي الأرض عندما رأيت عنوان الموضوع بينظير  
كبير على صدر المجلة.. أنسنتى الفرحة نفسى ففتحت المجلة  
وأخذت أقلب بلهفة نصفها الأخير - مكان مواضيعي المعتاد -  
.. تذكرت أهمية الموضوع فعدت مسرعاً إلى النصف الأول.  
اصطدمت بعنوانين الموضوع وإسمى بارزاً بعد مقال رئيس

نشر موضوعاتي كان يذبحني.. أتفى حيناً زميلاً يطعنني بسؤال  
قاتل:

- إنت لسه في المجلة.
- طبعاً، هاروح فين يعني.
- أمال فين شغلك.

أختلق رداً وعذراً للإنصراف وأمضى وقلبي يتقطع.. لحظة واحدة ما الذي جعلني أتذكر هذا القرف.. هلا فضضنا سيرة الغم في هذا اليوم المفترج بالصلاه على النبي.

يقطع خواطري صبي أسمى يقترب مني بصناته الصغيرة المصنعة من عود قصب.. ينهك في البحث عن طعم.. يجده.. يثبته في الخطاف الصغير.. يرمي صناته في الماء.. يراقبها باهتمام.. ينزعها متوجلاً.. يخيب أمله.. فيرميها ثانية وينزعها متوجلاً.. راقبته مبتسمًا وقلت:

- ما تستعجلش.. صيد السمك عاوز صبر.
- رمقني بنظرة خاطفة وأدار وجهه إلى الصنارة قائلًا:
- عارف.. عارف..
- تجاهلت تجاهله وواصلت:

تخيرت بقعة منعزلة لا يسبح أمامها الأطفال.. توسمت في المكان انخفاض الثمن..

طلبت زجاجة مياه غازية و إشتريت كمية من اللب والفول السوداني.. أصبحت همى الآن هل سيثير الموضوع صدى.. هل سيعث أحد المصادر تكذيباً.. ثار قلقي فما نقلته ليس له تسجيل صوتي.. ها أنا عدت للتفكير في العمل ثانية.. إقتربت من الماء بصفت على خيالي.. لعنت غبائي.. جئت هنا لأستريح وأنسى كل شيء.. وعندما جئت كنت قد أقسمت ألا أعمل بالصحافة ثانية.. لكنني ساخت بالقسم ككل مرة ينشر لي فيها أي موضوع.

مهنة داعرة هي الصحافة.. لكنها أمراً.. كحسناً ناهدة تحتويك فلا تستطيع منها فكاكاً تتألم لكن بلذة.. تتصارع نشوئك مع المكروهات العذبة.. لكنك في كل الأحوال تسلم قيادك لسود سطورها.. وينقطع نفسك وراء دوران مكينات طباعتها.. لم يكن هنا على إحتمال صراعبقاء الذي أشهده كل يوم في المجلة لكنني كنت أعلم أنه لا مناص عن ذلك وسط غilan الصحافة الذين أعمل معهم.. كنت أكتب كل يوم أرضاً جديدة.. مصدراً جديداً.. وحباً أكثر.. وصداقه أكبر من زملائي القدامي لكن تأخر

كان أبوه يمسك سنارة رفيعة يمسها في الماء.. راقبته كان لم يصطد سمكة واحدة بعد.. وضع الصبي سمكته في كيس مملوء بالماء.. دبت بها الروح ثانية فأخذت تنقض مصطدمه بأرجاء الكيس الشفاف.. نظرت له أخته الأصغر الجالسة بجواره بغيرة بريئة.. كانت تمسك سنارة أطول من قامتها بقليل.. تنزلها في الماء وترفعها منه دون جدو.. فذفت بالصنارة على الرمل وقالت لأبيها بصوت متهدج:

- اشمعنى محمد يأخذ سمكة.. ولانا بقى لى م السبح ما خدىش ولا واحدة.

قال لها أخوها: أصلك خايبة.

نظرت لأبيها كأنما تستوثق صحة حكم أخيها.. رفع فمه من على الشيشة.. نفث نفسها عميقاً في الهواء.. ووضع يده على شعرها الأحمر المقلقل وقال مبتسمـا:

- أصلك حلوة قوى.. والسمك بيغير من حلاوتك.. فيهرب بعيد ويروح لصنارة الواد محمد.. بييصن على وحاشته ويضحك عليه فيخطف في صنارته.

- ما تهزم الصنارة.. وما تستعجلش على سحبها.. سبب السم.....

قاطعنـى بجراءة غاضبة:

- لو سمحـت.. السمك بيهرـب من الصوت العالى.. سكت محراـجا.. راقبـت فـشـلـهـ المـنـكـرـ بـتـشـفـ طـفـولـى.. ربما سـبـبـهـ أـنـتـىـ طـبـلـةـ طـفـولـتـىـ لـمـ أـصـطـدـ أـىـ سـمـكـ وـلـمـ أـرـىـ أـىـ سـنـارـةـ فـىـ أـىـ مـاءـ.. وـكـانـ فـشـلـهـ أـعـطـانـىـ مـبـرـراـ الـموـاـصـلـةـ الـحـدـيثـ:

- هنا مش هتقدر تصيد حاجه.. لأن السمك بيهرـب من المركـبـ الـواـقـفـ دـهـ.

قطع كلامـىـ بـسـبـحةـ قـوـيـةـ لـلـصـنـارـةـ التـىـ أـخـرـجـتـ مـعـهـاـ سـمـكـ كـبـيرـةـ.. بـمـقـاـيـسـ السـمـكـ النـيـابـىـ - وـبـيـنـمـاـ تـتـلـوـىـ السـمـكـ أـخـذـ يـضـحـكـ بـصـوـتـ عـلـىـ وـيـقـولـ لـىـ بـظـفـىـ:

- شـفـتـ.. أـهـوـهـ.. أـهـوـهـ.. سـمـكـ كـبـيرـةـ كـمـانـ.

إـحـمـرـ وـجـهـىـ خـجـلـاـ لـكـنـىـ أـعـجـبـتـ بـهـ:

- إـنـتـ وـادـ مـيـهـ.. اللهـ يـنـورـ عـلـيـكـ.

جيـ الصـبـىـ نـحـوـ أـبـيـهـ الـجـالـسـ عـلـىـ مـقـرـبـةـ مـنـاـ.. أـخـذـ يـهـزـ السـمـكـ فـىـ الـهـوـاءـ وـبـلـهـجـةـ دـمـياـطـيـةـ مـحـبـةـ:

- أـبـويـهـ.. أـبـويـهـ.. سـمـكـ كـبـيرـةـ.

- إمبارح في نفس المكان ده.. اصطدت سمك كبير..، بناع كيلو.  
أنسى مني عدم تصديق..، تجهم وقال:  
- والله العظيم.. ده أنا حتى شويته كلها.  
إينسمت ساخرا.. ظهرت عالم الغضب على وجهه الأسمر أخذ  
ينادى:  
- تغريد.. تغريد.. ثم لى:  
- حاجيب لك أختي عشان تصدق.  
خطت أخته بدلال.. تنظر لنا مبسمة ونحن ننتظرها وعيوننا  
ترافق خطوها.  
قالت بدلال وقد أحست بأهميتها:  
- عاوس إيه يا محمد.  
وضع يده على كتفها وبخنان بدا أنه مبالغ فيه:  
- مش أنا يا تغريد يا حبيبي ( !! ) اصطدت سمك كثير  
إمبارح؟.  
استرقت نظرة إلى كيسه المليء بالأسماك الصافية.. وبابسامة  
ذكية سألته:  
- ألهى سمك يا محمد؟!  
أربك وقال بسرعة: السمك الكبير اللي شويته.

مضت برهة كأنما تحاول فهم ما قاله.. ثم أعجبها التفسير  
فضحكت في سعادة.. أزاحت خصلة شعرها الجميل عن عينها  
وقالت:  
- محمد ياوحش.. خلى سمكتك تتفعل.  
نظر إليها لا مباليا.. وأخذ يمشي إلى وهو يضع طعما في  
صنايته.. وصل إلى فوجدنى أضحك..  
قال لى باستهانة: بنت عبيطة.  
ضحكت بصوت عالى فنظر إلى مستغربا.. هز راسه.. ورمى  
الصنارة في الماء.. كان الموقف هذه المرة.. انشل ثلاث سمكات  
وراء بعض.. كانت اهلل فرحا معه بعد كل سمكة.. كان يجرى  
مسرعا ليضعها في الكيس ويعود وهو يرقنى بعموده.. أعجبتني  
نظراته الوردة قلت له لأمحو جهل ما قلته من قبل:  
- المكان ده فيه سمك كتير قوى.  
نظر إلى رافعا حاجبه وعلى شفتيه طيف إينسامة ساخرة.. هؤلاء  
الأطفال لا ينسون شيئا.. انشل السمكة الرابعة قلت له:  
- وشى حلوا عليك.  
لم يلتفت إلى.. وربما أراد أن يثبت لى أنه كفاء وليس  
محظوظا.. فقال في جدية:

لها.. وضع الصنارة جانباً وأخذ يتفحص الغلاف مهتماً.. هز رأسه مبتسماً.. قات لاشك أعجبه عنوان موضوعي.. قلب المجلة كلها.. استترفت حواسِي في مراقبته.. واهتز قلبي فرحاً عندما توقف لحظات قليلة أمام موضوعي مقرباً بالمجلة من نظارته وواصل تفليب المجلة.

غزتني نشرة عارمة.. أتعجبتني ساقاً فتاة حسناء تجلس على مقدمة بDAL أصفر مكتظ بمن لعلهم أخوتها.. كانت تجلس غير مضطربة.. ترجع بيد شعرها الذهبي إلى الوراء وتضع اليد الأخرى على فتحة في جيبتها تداري البياض الزائف الذي يظهر من فخديها "المليبيتين".." تمر سفينه كبيرة فتعلو تمواجات الماء ليهتز الب DAL بقوة.. تشقق بأنوثة وترفع يداتها ممسكة بنتوء خلفها وتُنفرج ركباتها مع الإرثاك.. فتدلى أبصار الشباب الواقف على الشط.. وأنا منهم.. على المرمر الخالب موغلة في التمعن حتى ذلك الخيال الذي بدا لنا أحمر اللون.. والذى عبر عنه شاب بسوقيه شبيه:

- لباسها باين.. ثم صرخ: حلاوتك يا أحمر.

وضعت يدها على وسطها النحيل.. ونظرت إلى يمينه مباشرة.. كان ينظر إليها بلهفة.. يتتجاهل اپتسامتى التي ترافق الموقف كلها.. عاودت النظر إلى كيس الأسماك.. ثم نظرت لأخيها نظرة متحدية.. اپتسامت ومالت نحو بنصفها الأعلى قائلة: ما تصدقوش يا عموم.. ده ماصادش ولا سمكة.

ابتعدت جارية.. وفي منتصف المسافة التي بفضلنا عن أبيها أخرجت لسانها لأخيها.. الذي لم يجر وراءها كما توقعـت أطرق برأسه نحو الأرض.. نظر في الماء حزيناً.. تناول كيس أسماكه ولدار نى ظهره وأخذ يجر صنارته على الأرض.. توقف على بعد أمتار مني ورمي صنارته في الماء دون أن يتنفس بكلمه.. خالجتني شعور بالحزن.. أشفقت عليه.. نظرت إلى أخيه.. كانت ترافقنا ضاحكة.. قطبت في وجهها.. لم تكترث ما أشقاهم وأذكاهم أطفال هذا الزمان.

مر بائع جراند يعلن عن بضاعته بلهجته الدمياطية (أهرام.. أخبار.. جمهورية.. المسيح.. روزاليوسف.. نصف الدنيا) .. انشئيت عندما سمعت إسم مجلتي.. وأخذت أنظر حولي مترقباً أحداً يشتريها.. ضحكت فخوراً عندما استوقف والد الطفلين بائع الجراند وأشتري روزا فقط.. كان سلوكه ينبي بأنه قارئ قديم

تركت أشيائى عنده.. وقبل أن أذهب للمركب.. أتجهت إلى محمد الذى كان لا يزال منكبا على صنارته دون أن يصطاد شيئاً.. أحس بخطواتى.. رفع وجهه فاصطدم بابتسامتى.. أشاع بوجهه سريعاً ودفنه فى الماء.. جلست جواره مذلياً رجلى فى الماء.. ربت على كتفه قائلاً:

- أنا مصدقك يا محمد.. أنت واد حريف في الصيد.  
رفع راسه تدريجياً نظر إلى صامتاً.. إحتوينه بابتسامة كبيرة..

إنقلت لفمه الصغير أخذ يهز الصنارة فرحاً.. وأصلت:  
- على فكرة.. إنت لو جبت صنارة كبيرة حتصطاد سمك كبير قوى لأنك شاطر في الصيد.

نظر في الماء كأنما يتخيّل السمك الذي سيصطاده ثم سأله بلهفة:  
- صنارة بموتور؟!  
- أيووه.

نظر إلى أبيه ثم قال:

- باباً وعدنى لو نجحت حيرجت لى واحدة.  
- يا الله.. شد حيلك عشان تجيها.  
كانت سعادتى بال موقف قد جعلتى أحرك قدمى فى الماء بقوه..  
ربت محمد على فخذى وقال لى بصوت هامس:

تبهت البنت فضمت ركبتها خجلة وأعادت يديها.. الإثنين هذه المرة لتتعلم حبيتها.. استدار البعض نحو الشاب الذى صرخ لاعنين أجداده فيما لكره زميل له:  
- يلعن ميتين غبانك.. ما تعرفش تصبر.

رد باستهانة:

- يعني كنت هتعمل ايه لو ثفت.. استنى هتشوف اللي أوسيخ دلو قتني.

الفت يساراً أعجبنى منظر حسناً ماتهبة القوم تصطاد مرتدية شورتا قصيراً رائعاً.. روّعه فيما يكتشه.. اقترب شاب فاهرق منها شجع ثم قال:

- إزاي بلطية تصطاد بلطية.  
أعجبنى التعنّيق.. لكنها رمقته متهدية.. وسخرت قائلة بلهجة دمياطية:

- البلطية دي معكن (.....).  
ضحك جميع الواقفين.. بينما بهت الشاب مسارعاً بالإعراض.  
استخفت لركوب النيل.. سألت عامل الكاففريا.. فقال لي:  
- أرخص لك تركب المركب اللي بيعدى للبر الثاني وترجع معه.. وبنص جنبه بس.

- أخذت السمكة في يدي.. كانت حركتها قد توقفت.. واخترق الخطاف جنبها لتوسط بقعة دم فشرها الزاهي.. بينما كانت عينها جامدة تحدق في المجهول.. قلبها محاذرا زعنافها الشائكة.. لا لأرى لم ذكرتني بالموت.. انقضت لحظة وقلت له:

- ترجل يا محمد لو رميتهافي المياه تانى.

- ليه.. يا عم.. إنت ما بتحبش السمك.

- أصلى باحبو السمك صاحبى.

- بس دى ماتت.

- عشان كده أنا عايز أرجعها بيتها عشان ماتمتوش غريبة.  
نظر إلى بعدم فهم وقال:

- بس أنا باحبو السمك المشوى.

- أنا كمان باحبوه.. بس إنت لما بتتشوى السمك.. بتتشوى سمكة واحدة ولا بتتشوى كثير.

قال بفخر وكأنه تذكر ما حكاها لي عن سمك البارحة:  
- لأن.. كثير طبعا.

- عشان كده لما هتدينى السمكة دي هفضل معايا لوحدها..  
هتموت غريبة واهلاها هيز علوها عليها وممكن يزعلوا من البنى  
آدميين ويهربوا بيئهم اللي جوه النيل وما تعرفش تصطاد حاجة.

- معهش يا عم يا باريت ما تحركتش رجلك.. عشان السمك ما  
يهربش.

أوقفت حركة قدمي وابتسمت مليء فمي وتأسفت بصوت هامس.  
قال لي بصوت هامس يجبر على الضحك: ما ترجلش يا عم.

أرسل نظرة طويلة نحو البر الآخر.. ثم التفت يهمس لي: عموما..  
أنت عندك صنارة بمونور.

ضحك: أنا عمرى مكان عندى صنارة.  
قال بليفة: ليه يا عم.

سكت لحظة ثم قلت: أصل.. أصل.. ما اعرفش..  
تذكرت قسوة أبي وفقر حالنا. وجملة أبي الدائمة ( أقدر ذاكر  
كلمتين.. أحسن من المرقة الفاضية ).

ربت على رأسه وقلت في حنان: عشان كده يا محمد.. إنت هتبفي  
صياد كوبس.

رفع رأسه بفخر رائع.. غمزت الصنارة فأنشل سمكة صغيره  
تأملها بفرح.. أخرجها من الصنارة.. ثم قال لي وهي تلوي في  
يده:

- دي عشانك يا عم.  
هممت بلمسها.. لكنه صاح.. حاسب من الشوك بتاعها.

حلو.. أول ما تشم الريحة دى قلبها يتفض وتنغوص.. تنغوص لغاية ما توصل لعمق المية زى اللي بتساكسف إيه اللي انغير تحت.. بيدور على أهلها وناسها.. مين اللي شبك فى صنارة ومين كلته سمكة أكبر منه ومين اللي لسه موجود.. تعيط على اللي راحوا بس فجأة تنسى وتلوى جسمها وتنطلع تانى تلعب مع حبابيها عالشط وهى عارفة إنها ممكن تشبك فى الموت.. بس بتحداده.. يمكن نفكير ده غباء بس أنا شايف إن ده قمة الذكاء والشجاعة.. إحنا كده لما نحب الحياة بتنبلط فيها واحنا عارفين إن إحنا فى الآخر هتشبك فى صنارة الموت أو حتى هنوقع فى شبكة الحزن.. بس بنجرى وبنعلط وبنبلط ونعيش.. عشان كده أنا عايزةك تفضل تصطاد سمك على طول عشان هتفهم الحياة.. بس لو عى تصطاد سمكة لوحدها.. ساعتها الزمن مش هيرحمك واهتمامك إنت كمان غريب.

التفت إلية لأجده يحدق في فاغرا فمه.. ابتسمت ملاطفاً. قال لي:  
- أنا مش فاهم حاجة يا عمرو.

ربت على كتفه:

- إنت لسه صغير.. بكره هتفهم براحتك.

كنت قد امتنكت حواسه كلها وهو يتتابع ما أقول.. واصلت:  
- نو رجعناها.. أهلها حيسوا بالأمان ويفضلو يلعبوا على الشط وحقدار إنت تصطادهم.

أعجبه ما قلت فقال متاجعاً: صح يا عمرو.  
نظرت إلى السحب المنكافية لأنما تشد يد بعضها البعض وتمضي مختالة في السماء تاطح القمر الذي بدأ حضوره الباهت في الظهور أمام ضوء الشمس المتداعي.. زفرت ثم قلت له وأنا أكلم نفسى عبره:

- الغربة صعبة يا محمد.. لما تعيش غريب في وطنك تتعب.. لما تبقى وحيد في زحمة الناس قلبك يتقطع.. تبقى روحك بردانة.. والحزن يركبك.. والحزن زى العفريت.. لما يركب حد ما يعتقوش.. لكن لمة الحبيب.. وعيون اللي قلوبهم عليك ومعاك تخليك دفيان وتخلى روحك عامله زى.. زي إيه.. بص...  
آخر جت سمكة من كيسه المملوء بالأسماك الصاحبة الجارية في ماء الكيس قذفت بها إلى الماء.. إنقضت برهة ثم غاصت..

وواصلت حديثي مع نفسى:  
- زى السمكة دى أول ما تشم ريح المية الحقيقة.. المية الواسعة.. مش مية الكيس الضيقة العكرة اللي ما عادش فيها نفس

للنخيل تزغ من بينها ماذن متاثرة وتفوح منها رائحة الهواء  
البكر.. تنفست بعمق.. أخذ المركب يتحرك أخرجت نصف  
جيئه.. طالبني الرجل بدفع جئيه ونصف وعندما سألته عن  
المسبب.

قال لي بغلظة: أصلك مش من أهل البلد.. راكب بتنفسح  
كان نزقا.. ورأيت أن الأدب لا ينفع معه.. قلت له زاعقا:  
ـ وده من إيه.. مالكش عذى غير نصف جئيه.. ومالكتش دعوة  
أنا مثين.. وما تكرش في الكلام معايا أحسن مش كويس بالنسبة  
لك.

صدق حدسي في أن الوقاية أسلم حل للتعامل معه.. سكت كاظما  
غيظه وقد أجبرته لهجتي الزاغفة الواقفة على التسليم رغم أنه لو  
طلب مني أن أخلع ثيابي كلها وإلا رمانى في النيل لقلعت دون  
نقاش.. استدار نحو جار له وأخذ بصوت عال يحاول (التقديح في  
الكلام) :

ـ تصدق يا خويه.. بنوع مصر دول باین كلهم (...) .. ما  
تعريش ليه.. ممکن من الأتوبيسات الزحمة اللي بيركبواها.. تلاقى  
الواحد منهم عامل زي الجمل المحمل.. طول وعرض وشنفات..  
لكن لو تدور عليه تلاقيه بيدور عالي يديه في القله.

انتفضت واقفا: شد حيلك.. أنا هادى النيل وارجع.. عايز ألاقيك  
مليت الكيس ده سمك.. بس النهارده ٢ كيلو.. أكثر من إمبارح.  
ضحك: حاضر يا عموم.. حاصطاد ٣ كيلو.. وهاشويك كيلو  
بحاله.

تحركت المركب بطينة والنيل يحملنا على كفوف الراحة.. أخذ  
يهدهدى فثارت شجوني.. أرسلت نظرة إلى محمد فلوح لي  
بسمرة انشالها.. شجعته باشاره من يدي.. وغلبتني النسوة فأخذت  
أتسرنم (شد القلوع يا مراكبي.. ما فيش رجوع يا مراكبي) ..  
نظرت إلى انراكبي.. كان ينفع في غيط من قلة الركاب وعرفه  
يسيل على ذقنه المهملة.. إنصرفت عنه إلى النيل ملت بجذعى  
لامس الماء بيدي.. مال المركب معى.. فوخرنى بنظره عدائى  
حادة جعلتني أمتنع عن التفكير في ملامسة الماء.  
وصلنا إلى البر الآخر.. نزل الركاب وبقيت أنا أنظر فيما حولى..  
دهمنى صوته الأخش:

ـ يا الله يا بيه.. مستنى إيه سعادتك.  
ـ لا.. أنا هارجع معاك يا رئيس.  
فضححتى لهجتى القاهرة.. فأرسل نحوى نظرة طويلة تتضاع  
بالغيط.. انتظرنا إمتلاء المركب.. كان البر الآخر مليئاً بأشجار

رحب الأب مرة أخرى بي وعاد للقراءة.. فرحت لأنهم أكده في متابعة القراءة ووصلت نفسي إلى أقصى حدودها.. ها أنت يتلهف القراء على إكمال مواضيعك.

ما إن همت بالكلام حتى هبت تغريد قائمة وهي تصرخ بشدة عارمة:

- هييه.. هييه.. هييه.. سمكة.. سمكة.. سمكة..

لم أصدق نظرتها إلى صنارتها.. رأيت سمكة لا يأس بحجمها تتلوي في طرفها.. كانت سمكة غبية لا شك أو أن الفتاة كانت محظوظة عندما رفعت الصنارة بقوة - باعثها اليأس - في الوقت الذي شبكت الخطاف في فم السمكة.. اندفعت تغريد دون أن تزيل السمكة من الصنارة وهي تطوح بها في الهواء صارخة مهلاً أخذ الجالسون في المقاعد القرصية يصفقون لها وهي في تغريد في تهليلها باللغة الفرحة.. نظرت إلى أخيها وأخذت تناول:

- سمكة يا محمد.. سمكة يا محمد..

أخذت تلوح له بالصنارة مقتربة من الحاجز الأسمنتي.. بينما كان محمد يراقبها من مكانه غير مصدق.. أخذ يقترب.. بينما اندفعت هي نحوه لتسخذه بالتصاده.. تعثرت في رجل كرسي ليسقط طرف صنارتها في الماء خلف الحاجز الأسمنتي.. قامت بسرعة

ضحك الركاب بينما تجاهلت.. ضحكت في سيرى على احتzáدى في أثر مناقشة عن حقوق العمال وال فلاحين وأبناء الشعب (الغلابة).. قلت لنفسي:

- غريبة بلدنا وناسها.. أهو ده لو كنت عمرته بخمسة جنيه كان زمانى الباشا ميد الناس حتى لو كنت باكرهه وباقول ان العلم كثير عليه.. لكن عشان بادفع عنه وما معينش بقيت بادور عاللى يدينى.

نزلت من المركب نالما على فكرة ركبته.. عدت إلى مقعدي.. كان محمد لا يزال يصطاد في مكانه.. مررت بوالده ووقفت وقد خفق قلبي فرحا.. كان قد طوى المجلة على موضوعى وأخذ يقرأه في إهتمام.. صممت أن أعرفه بنفسى.. أندفعت نحوه.. أحس بوجودي فرفع رأسه.. خلع النصارة وابتسم في ود.. نظر يمينه نحو مقعدي.. ذكر أن ابنه كان يصطاد بجوارى.. قال لي:- أهلا وسهلا.. تفضل جلس متظاهرا بالحرج.

كانت تغريد لا تزال تضع صنارتها الصغيرة في الماء دون فائدة وهي تمبل بكرسيها نحو الحاجز الأسمنتي الملائم للماء.. كان الضجر يبدو عليها وهي ترفع الصنارة وتخفضها دون أن يفك السلك حتى في أكل طعمها والهرب..

أحست أنني سأنصر محمد عليها أخذت تصيح وقد بدأت في  
البكاء:

- والله حلام.. أنا جبت سمكة.. والله جبته.  
اندفعت وهي تبكي إلى الداخل فيما عاد محمد للضحك.. شاركته  
في الضحك فنظر أبوه إلى مبتسما:  
- شقاوة العيال دى نوع الدماغ.  
- ربنا يخليهم لك.

شكري باقتضاب وعاد إلى (موضوعى) فيما رمى محمد  
صبارته في الماء وهو ينظر إلى أخيه لاباكية في مدخل الكافريا.  
أحسست أن الأب يستقل وجودى.. فهو لم يكلمني كلمة عليها  
القيمة منذ قعدت.. عذرته.. وتخلت كيف ستتغير معاملته لي بعد  
أن أخبره من أنا.. سيعتل في جلسته ويحدثنى باحترام.. ربما  
يطلب لي مشروبا على حسابه لاشك أنه سيفعل.. سيسألنى عن  
الموضوع وكيف توصلت لما فيه وسيطرت على أسلوب كتابتى..  
ربما يتذكر مواضيعي السابقة.. لا أعتقد .. لن تكون طماعا في  
نشر متباudeة ويصعب تذكرها.. تأملت شعره الأشيب تتوسطه  
صلعة تعطى وجهه الأسمر منتفخ الأوداج مظهرا يدعوا  
للاحترام.. خمنته موظفا كبيرا.. ربما كان يعمل مديرًا عاما في

وهي متبرمة.. وعندما وصل محمد إلى جوارها رفعت صدارتها  
وهي تقول وقد نسـت وقوعها:  
- شايف سمكتى يا محمد.

ارتسنت إيسامة ظفر على وجه محمد وهو يشير إلى طرف  
الصنارة الخالى من السمكة التي تخلصت من الخطاف بحلوة  
الروح عندما شمت رائحة الماء.. التفت تغريد مذهولة إلى  
الصنارة الخالية وحدقت في طرفها.. ظلت برهة حتى استواعت  
الموقف فيما كان محمد يضحك في سعادة.. أخذ صوت تغريد  
يتهدج:

- كان في سمكة هنا.. إنت شفتها يا محمد.. صبح؟!  
قطع ضحكه ثم نظر إليها وابتسم بدهاء.. ثم نظر إلى.. شجعه  
ضحكتى.. فقال لها في دهاء:  
- سمكة ليه.. إنتي اصطدتي سمكة؟!

ذهلت لوهلة ثم اندرفت قائلة: أبوه والله.. وانت شفتها.  
وأصل متذابتًا سمكة ليه يا عبيطه.. مانقى قاعدة من الصبح ما  
اصطدتش ولا حاجة.

أحست أنه يثار نفسه فأخذت تدافع عن نفسها وهي تنظر إلى  
أبيها.. لكنه لم يكرث بالموقف كله.. لم تنظر إلى ربما لأنها

- حضرتك بتقرأ روزاليوسف،  
يبدو أنها كانت بداية غبية للحديث فهو يمسكها بالفعل.. نظر إلى  
متوسما الغباء:  
- أيوه..

قلت لأحسن موقعي: أقصد تقرأها باستمرار.  
قال بنفاد صبر : أيوه..

- بتعجبك؟

- طبعا.. مجلة محترمة وجريئة.

إبتسمت بفخر ورجعت بظهورى لأجلس ملء الكرسى.. ثم أشرت  
إلى ( موضوعى).  
- إيه رأيك فى الموضوع ده؟

- كويس جدا،  
لم تسعنى الدنيا فو اصلت:  
- إيه رأيك فى أسلوب كتابته؟  
كان سؤالا غريبا..

سألنى: حضرتك بتسأل ليه .. قريته ومامعجبيش.  
قلت بفخر: الحقيقة.. أنا اللي كتبته.

محافظة دمياط أو هيئة ميناء دمياط .. لو كان ذلك كذلك فيابختى  
لأنى ساكسب مصدرًا جديدا ربما أطلع منه على الأقل بخبر  
صغير أنشره في بورصة الأخبار وأخذ عليه عشرة جنيهات  
(حلوين تمن أكلة عدلة وتلات أكلات نص نص و٦ أكلات مش  
ولابد).. لماذا هذا الانسحاق في نظرتى .. لماذا أتعامل مع نفسي  
بوصفى برص .. أنا أكبر من ذلك بكثير .. أنا صحفي محترم  
صاحب رسالة صحيح أتنى لا أعرف ما هي حتى الآن .. لكن  
بالتأكيد أنه سيكون لدى واحدة في يوم ما .. لهذا الموظف الكبير  
اشرف في أن يعرفني ولا شك أنه بعد أن يحظى بهذا الشرف  
سيحدث زملاء عمله أو رفاقه على أكثر مقاهى دمياط إحتراما  
عن الصحفي الذى تشرف بمصالقته وعقب كل موضوع لى  
سيقول ( يا سلام.. الرجل ده صديق عزيز ) وربما منحه جزءا  
من وقتى عندما يتصل بي مهنتا ومبراركا .. ومن الممكن أن يؤمن  
بي أكثر وعدها ربما لو .. لو يعني .. وقعت يوما تحت يده  
وثائق فساد وخصوصى بها لأحقق موضوع غلاف آخر (أخذ عليه  
١٥ جنيه تمن أكل عدل طول الشهر وأكل نص نص طول ٣  
شهور وأكل مش ولابد طول ٥ شهور وأسبوع).  
أشعرتى كل هذه الأفكار فقررت الدخول فى الموضوع مباشرة.

الحوارات.. وتصور الرجل أن من يكتب موضوع غلاف في مجلة كبيرة لابد أن يكون من هؤلاء.

عزمت على إقناعه بما أقول.. أخرجت بطاقة الجامعية وقربتها منه قائلاً:

- تفضل .. أنا إسمى طارق مذكور .

نظر إلى البطاقة ثم نظر إلى الموضوع.. أحسست بابتسامة ساخرة على فمه.. تأكيد إحساسى عندما وجدته يدس يده في جيبه ليخرج محفظة جلدية سوداء وأخرج منها بطاقة قربها مني قائلاً:

- وأنا إسمى عاطف صدقى.. ثم أعادها وهو يبتسم فى سخرية.. أحسست بسماكين تمزق كبرياتى.. فهمت ما يقصده.. كأنه يقول لي أن تشابه إسمك مع الاسم الموجود في المجلة لا يعني أنك هذا الصحفى المحترم لأنك بالفعل غير محترم.. وإلا لكتت أنا عاطف صدقى رئيس الوزراء.

فهمت بالحديث إلا أنه عاجلنى بابتسامته الساخرة القاتلة:

- لا مواحدة يا بيته.. أصل الصنارة غمزت.

لم تكن الصنارة أصلاً في الماء.. لكنه كان يمهد الطريق للتخلص من هذا المدعى الذى هو أنا فى نظره.. نظرت إلى محمد كان

انتفض الرجل فى مقعده.. استبشرت خيراً.. لكن نظراته المستكيرة أشعرتني بالقلق.. أخذ الرجل يتحصنى بحذر.. أزعجتني نظراته إلى قدمى.. كان ( شبشبى ) الذى أرتديه من نوع ردى فضلاً عن تهرئه، كان بنطلونى متسخاً وقميصى مكرمشاً.. وشعرت بوخذ نظراته وهى تستعرض مظهرى.. كانت نظراته تعرينى وتؤلمنى.. كان المظهر دائمًا عبى الوحيد- فى عرف الناس - ولم اكن أكترث لذلك.. كنت أهتم بالنظافة لا الأناقة ولاكون صريحاً أكثر فإن ما أجبرنى على هذه الفكرة كان حالتى المادية المتواضعة.. وكانت آمل دائمًا فى تغيير الحال.. لكنى كنت أظن أن الناس وهذا الموظف الكبير الأصلع الذى كنت أحترمه يعرفون أن الصحفيين الشرفاء لا أصحاب الفرون هم بالضرورة أناس متواسطو الدخل يجاهدون من أجل تحسين معيشتهم.. لديهم هم عام يشغلهم عن المظاهر والشك.. لكن هذا الرجل الأصلع الذى وقعت بعجائبي واندفاعى فى يده يبدو أنه تأثر بكتاب الصحفيين الذين يرافقون فى نشرات الأخبار أو البرامج السياسية يرتدون بدلة ( بيركاردان ) وربطات العنق الحريرية والأحذية النعيم والوجوه اللامعة يصافحون الرئيس ويجررون معه

- ما تز علش يا عمو.. أنا مصدقك والله العظيم.  
 فاصل ماء النيل بحنانه البرئ وفاضت جوانحى بالشجن.. تناولت  
 كيس السمك واحتضنته بقوه.. دوى صوت والده يناديه.. اهتز  
 ولستدار ليلبي نداء، لكنه غمزنى بعينيه وقال لي وهو ينصرف:  
 - عايز أقرا إسمك على طول يا عمو..  
 اهتز كيس السمك فى يدى.. كان السمك لا يزال يتلوى فى  
 جوانبه.. احتضنت الكيس ورحت فى بكاء طويل....

الجريبى رأس البر  
 الأحد ١٩٩٥/٩/٣

ينظر لي بوجه اكتسى بالإشراق.. أحسست بثقل جسمى وأنا أقوم  
 وكأنى منسحق تحت صخرة هائلة يحاول رفعها.. لكنه لم يرحمنى  
 قال لي فى سخرية مريرة: فرصة سعيدة يا افندي.. تبقى تشرف  
 فى مجلس الوزراء.  
 تجاهلتة ومضيت نحو مقعدى متناثلا.. بلغته بصعوبة.. رميت  
 بصرى نحوه لأجده يواصل قراءة (موضوعى) وابتسامة  
 الساخرة لم توند بعد.. فتلنى التفكير فيما يجعل بخاطره نحوى  
 الأن. شاغلت بالنظر ألى الماء.. دوت من بعيد صيحات غريق  
 يطلب النجدة.. ندافع كثيرون لإنقاذه لكن أحدا لم يقترب نحوى.  
 أحسست أن يدا ما تحاول الأن أن تنتشلى من لجة ما أنا فيه الأن  
 التفت لأرى يد محمد على كتفى وحنان الدنيا يشع من وجهه  
 الأسمى الملائكي، نظرت نحوه مصطفعا بابتسامة باهتة لكنه بذكاء  
 الصغار كان يفهمنى..

مد يده الأخرى بالكيس المعلوء بالسمك قال كانه يراضينى:  
 - كيس انسنك ده عشانك يا عمو.. عايزك تشويه وتدعىلى  
 وأنت بتاكلنه.  
 همت بالبكاء.. كان حنانه أقوى من أن يحتمل.. لكنه افتر..  
 منى.. نظر إلى أبيه ثم قال لي بصوت واثق لكنه خفيف:

# ٦ أكتوبر.. منزل الزمالك!

"أنا هـ الـ بلد دـي .. بـلد أـبـوـيا وـجـدـ جـدي

.. بـلد أـخـوـيا وـولـادـي بـعـدي"

## **السيد الفاضل.....**

أكتب إليك الأن من محافظتي بعد أن أنهيت تواً حديثي التليفوني  
معك الذي وصفتني فيه بأنني بنت ليس لديها روح أكتوبر... هل  
تذكري الأن؟

أنا زرنيا... تذكرت عن أبي وهو واحد من حاربوا في  
حربى ١٩٦٧ ، ١٩٧٣.... وقد أخبرتك أنه استمر في الجيش لمدة  
سبع سنوات هي فترة تجليده نظراً ل الحاجة الشديدة لقوى البشرية  
في ذلك الوقت كما تعلم....

وقد قصصت عليك أيضاً بعض ما يوعلمني.... ولن أقول بعض ما  
أعلمه لأنني لا أنسول ولا أطلب معونة من أحد أياً كان....  
ولأنني " وهذا هو الأهم " لا أتاجر بالآلامى لظير شفقة أو عطف  
من أحد....

وهكذا حكمة الله في خلقه... وهذا هو المثال الذي نسوقه دائمًا  
لكى نهدى من روع أنفسنا إذا ما بدت بادرة للتمرد على قضاء الله  
وقدر....

كل ذلك ياسيدى أنا مؤمنة به.... ولكن ما أعجز عن الإيمان به  
لو حتى تقبله هو أن يجئ أحد ثمرة كفاح الآخرين بل ويتلذذ علينا  
بمداقها الطيب فى حين حرموا هم منها.... وهذا ما يحدث حالياً..  
فسيناء التى حررها أبي وأمثاله ودخلها محارباً مقاتلاً صار الآن  
عجزًا عن دخولها سائحاً يقيم فى "لوكاندة" صغيرة ربع  
نجمة.... وليس حتى نجمة واحدة....

لأننا.. كما أخبرتك - نعيش فى وطن يمنع من يمنعون عنه...  
وليس هذا حالى فقط وإنما - من خلال ما قرأت وتتابعت - وجدت  
أن هذا حال كثيرين....

فالجزاء الذى ناله أبي ياسيدى نظير سبع سنوات من أخصب  
فترات عمره كان شهادة تقدير...  
وقد كان أبي يعتز بوجودها ويصر على أن تظل معلقة فى  
الحجرة التى نستقبل بها الضيوف... وهى بالنسبة لافتريه  
متواضعه وليس صالوناً على الرغم من شهرة محافظته التى  
طبقت الآفاق فى صناعة الأثاث....

وإنما أكتب إليك وأحدثك فى محاولة لإصلاح هذا الوطن الذى  
نتسمى إليه والذى يمنحك من لا يعطونه ويمنع ما يملك عن  
يمنحونه....

وقد كتبت استجابة لطلبك منى فى حديثك التليفونى معى.....  
فهل تذكرتى الآن.....؟

إن ما سأكتبه الآن ياسيدى ليس ثمرداً وإنما ثورة مكبوبة أردت  
أن أفرغ شحنتها على مسامعك وقد استمعت إلى مشكوراً.... ثم  
نصحتى بأن أكتب كل ما أشعر به فى رسالة... وهأنذا يا سيدى  
أكتب وأنضم إليك وإلى ثورتك على الورق ضد هذا الواقع  
المفروض علينا.. وضد من جعلونا نعيش واقعاً كهذا...  
فأنا ياسيدى مؤمنة تمام الإيمان بأن الله خلق لكل إنسان مكانة  
أعدت له فى الدنيا وعليه الرضا بها لأنه جعل الناس مسواسية ولم  
يفرق بين أحد من خلقه...

فهناك من منحه الله سعه الرزق وبسطة العيش... ولكنه حرم من  
نعمه ما كالسعادة مثلًا... فى حين أن هناك من حرم سعة الرزق  
أو يبعد من فقراء المجتمع الذى يعيشه ولكنه يرفل فى السعادة.....

نعم يا سيدى فقدت شهادة التقدير أبسط ما ترمز إليه وهو عودة ملكية الأرض لأصحابها... أتدرى لماذا.... ؟

لأن أبي عندما أراد الذهب لأرض القمر - والثى دخلها عندما كانت خرابه - بعد أن سمع عن النظورات التى حدثت وتحدث بها - في رحلة قصيرة لمدة ثلاثة أيام أو أسبوع على الأكثر فى أجازة أحد الأعياد... لم يستطع....

ليس لأنه لم يملك ما يدفعه اشتراكاً نظير قيامه بهذه الرحلة.. 'فحاشا الله أن أنكر نعمه ربى' .. وإنما لأنه وجد نفسه أمام خيارين إما الرحلة أو توفير المبلغ لمصروفات التيرم الثاني بكلتى وقد 'حسبها كويس' على حد تعبيره - وقضى الأجازة في البيت.... ' على الأقل فهو معانا ' كما قال -....

قد يقول البعض أنت مستوره للغاية أو من الأنوراء بالنسبة لهم لأنى أجد من يوفر لي مصرفات دراستي بدلاً من أن أعمل بنفسي لتوفيرها.

وأقول لهؤلاء:... نعم ليس من حقى أن أشكو ولأنا بالفعل لا أشكو قلة المال أو شدة الحاجة وإنما أنا صاحبة قضية يشاركتى فيها آخرين كثيرون.... ولئن شكوت فإننى أشكو الما أعانيه يعني غيري حين وجدت أبي عاجزاً عن رؤية الأرض التي دفع ثمن

وذلك حتى يراها كل من يزورنا ويراها كل خطاب يتقدم لاحدى بناته....

نعم يا سيدى كان يعتز بها وهذا حق له لا ينكره عليه أحد.... فقد كان يعتبرها دليلاً على رجولته وقوته وشجاعته ونضاله في حربين من أهم الحروب التي خاضتها مصر.... والثى قادتها عام ١٩٧٣ إلى نصر لا زلنا نعيش عصره.....

نعم يا سيدى أقول كان يعتز وأصر على تكريارها لأنه أصبح الآن لا يهتم حتى بالسؤال عن مكانها بعد أن رفعناها من فوق الجدار.. ليس سهواً منه أو غفلة وإنما لأنها فقدت معناها وقيمتها ولم تعد تدل على ما كانت ترمز إليه في السابق من قوة وهو يرى نفسه عاجزاً " على حد تعبيره - عن توفير مأوى آخر لنا بدلًا من شقتنا التي يتتساقط المطر متسللاً من شقوق سقفها فوق رؤوسنا في الشتاء... بل وفي الصيف أحياناً ينزل الماء الذي تشربه السقف واحتفظ به أثناء الشتاء....

نعم يا سيدى فقدت شهادة التقدير حتى صلاحيتها لدى من منحوها له حين وجد نفسه عاجزاً عن تسوية معاشه لأنه وجد أن هذا المعاش سيكون في حدود ٧٠ جنيه على الأكثر لأن عمره ما زال ٥٢ سنة.... ' هذه سن صغيرة بالنسبة لهم ' ...

حريتها هو وأمثاله من عمرهم..... في حين يستمتع من حاربوا  
طاردين إياهم منها ومحرريها من براثنها وبتأشيرات دخول  
رسمية سليمة تباركها الحكومة بدعوى السباحة.... نعم يا سيدى  
هناك ألم شديد أعانيه عندما أجد أن مجهودات أبي وغيره ضاعت  
هباءً.. ليفسق منها من لا يعرفون عن كلمة ٦ أكتوبر شيئاً سوى  
أنها اسم لكوبري به منزل شهير يقودهم إلى الزمالك حيث  
منازلهم العاصرة بخيرات الله .

نعم يا سيدى أنا لا أنسول طالبة شيئاً ليَا كان سوى رد كرامة  
رجال أهدرت في زمن السلم وليس في زمن الحرب.... وبيد من  
ينعمون بحرية دفع أبي وأمثاله ثمنها....  
نعم أنا مستورة والحمد لله - وسأظل أؤكد هذا- ولكن على  
حساب من .....؟

على حساب صحة أبي وعمره لأنه لا توجد أمامه بدائل أخرى...  
لن أصف لك يا سيدى حالته الصحية وما يعانيه لأنني كما قلت لا  
أنسول ولا أطلب شيئاً....

وأنما سأخبرك باكتشاف آمني للغاية .. وهو أننى وجدت نفسي  
مؤخراً لا أشعر بالفخر إزاء ما فعله أبي...؟ أتصور هذا... تسع  
سنوات قضتها في حربين هددتا حياته شاباً صغيراً وخرج منها

شاباً ناضجاً في الثلاثين من عمره تقريباً دون إعاقة جسدية  
ظاهرة للعين "لا شيء" سوى فرحة معدة من هول ما عاناه فأبى  
يا سيدى وغيره كانوا يضطرون لشرب البول ارواء لظمئهم...  
بل أنه سار ستة عشر يوماً كاملة حتى يصل إلى مكان آمن في  
نكسه ٦٧ بعد أوامر الانسحاب....

بل وشاهد بعينه أحد زملائه يموت ويطلب منه وهو بين الحياة  
والموت أن ينهى أبي آلامه برصاصة لأنه "ميت ميت" فعجز  
أبى عن ذلك....

وما هي إلا لحظات حتى دهست دبابة ما تبقى منه وأنهت  
آلامه....

أتخيل يا سيدى كيف كان سيصبح حال هذا وأمثاله لو كان ظل  
على قيد الحياة باعاقة ما .....؟

نعم يا سيدى لا أشعر بالفخر.. أو لم أعد أشعر بالفخر...  
أترى لماذا...؟....؟

لأنى لا أجد من يشعرنى بأن ما فعله يستحق الفخر... في حين  
أجد الفخر كل الفخر بأصحاب السيارات الفارهة والأموال  
المجهولة المصدر التي تتبع هنا وهناك فهو لاء فقط يا سيدى هم  
من يمنحهم وطني أعز ما يملك وينزل لهم كل صعب ويبدل لهم

كل غال في حين أن هؤلاء يخلون بأبنائهم على هذا الوطن -  
الذى أعطاهم كل شيء - في وقت السلم فما بالك لو كنا في وقت  
حرب ...

نعم يا سيدى لا أشعر بالفخر .. وكيف أشعر به أبى مطائب بآن  
يقوم بإجراءات مهينة في المكاتب الحكومية إذا أراد مثلاً الحصول  
على شقة تاسب امكاناته بدلاً من شقتنا التي توشك على الانهيار  
لولا رحمة من ربى ...

أو عليه مثلاً أن ينشد احدى المسؤولين عبر احدى الصحف أو  
البرامج الإذاعية أو التليفزيونية مطالباً بحجرة وصالة متاجراً  
بعشر سنوات بطولة حتى يمن عليه أحد المسؤولين ....

مع أن هؤلاء وأمثالهم هم من منحهم أبى وأمثاله حرمتهم ودفعوا  
ثمنها إما عمرهم أو من عمرهم ....  
فهل يعترفون بذلك بصدق ولو بين أنفسهم...؟  
أشك ...

نعم يا سيدى لم أعد أشعر بالفخر الذى كنت أحسه في الماضي  
كلما كان يقص أبى على مسامعنا ذكريات الحرب والنصر  
و خاصة أنه كان ضمن قوات العبور حيث كان قائداً أحدي  
الدبابات ....

أندرى لماذا يا سيدى ...  
لأننى صرت أعتبر تلك المشاعر الصادقة ما هي إلا مشاعر  
”جبيطة“ لطفلة صغيرة كانت تظن أبناء هذا الوطن الذين دافعوا  
عنهم أبطالاً في نظر الآخرين كما كنت أرى في أفلام السينما ....  
فكنت أسير بجواره في الشارع وأسرح بفكري وانتصور أن كل  
من يصافحهم ويلقى عليهم التحية إنما يردون سلامه وتحيته علماً  
منهم بما فعله من أجلهم ومن أجل هذا الوطن .... كنت أتصور  
هذا إلى أن بدأت أكبر قليلاً وأشارك أسرئى الصغيرة بعض  
أحلامها الصغيرة أيضاً وألامها الكبيرة في مواجهة ظروف الحياة  
المختلفة ...

نعم يا سيدى كنت أتصور ذلك إلى أن اكتشفت أن هؤلاء الأبطال  
ـ الذين تصورهم لنا السينما على أنهم كذلك - يعملون عند علبة  
ال القوم الذين ضموا على هذا الوطن بأبنائهم الذين هم أبناءه أيضاً .  
فتخيل يا سيدى كيف يكون شعورك عندما تجد أن من منحوا  
هؤلاء حرمتهم يعملون تحت أمرتهم بل وفي مهن لا تليق لدى  
هؤلاء .....  
أترأك لا تزال تتساءل بعد كل هذا لماذا لا أشعر بالفخر ...؟ ..

ملحوظة:- رجاء نشر اسمى كالآتى : ( داليا احمد محمد -  
دمياط ) فقط.....

ورقم التليفون لديك او لدى كل من بريد الاتصال بي من جريدةكم  
فقط.. إن أراد أحد ذلك..  
وشكرأ لصبرك إن قرأت رسالتي حتى النهاية.

## الصخره والطحالب

"لذكرت والذكرى تضر بذى الموى"  
..ومن حاجة المخزون أن يذكرها"

من فوق صخره منعزله على شط "ستافلی" تستطيع أن تفهم  
الحياة أكثر، تستطيع أن تدرك قدرتك على مواجهه الغدر والجفاء  
والوحدة وقسوة القلوب وخبيه الأمال وظلم الواقع تماماً مثلما  
تفعل هذه الصخره - التي تجلس عليها - وهي تواجه كل يوم  
الموج والرياح والليل والبرد والملح، عليك فقط ان تتوحد معها  
فيكون لك قلب قد من صخر هو عندها ستعيش - والتعبير هنا  
مجازى فالصخور لاتعيش - وتموت شامخا دون تفريط في شيء  
، والضربيه التي تدفعها غير ذلك ستعيش "صخر" وتموت "صخر"  
هي أنك مستأكل يوم بعد الآخر ، تماماً مثلما تتأكل هذه الصخره -  
التي تجلس عليها - بفعل مطارق الموج والملح.

من فوق هذه الصخره ستفهم أن بحر الحياة قد يصفو لك حيناً  
ويتأخذ أمواجه الوديعه فى الترافق تحت قدميك وتداعب  
"أكلاتك" التي صنعتها هي بنفسها ، وتغمر الطحالب المنتشره  
أمامك برفق وكأنها تمصح شعرها وتطبّب على ظهرها على

## بين "رجلٍ" الكتاب

لاتستغرب هذا العنوان ولا تظن بيسوء لاختياري له ، فما اخترته إلا لأنني وجده موافقاً لمقتضى الحال ، فقد جرت عادة الكتاب أن يضعوا لمقدمات كتبهم عنواناً يطلقون عليه (بين يدي الكتاب) ، وهو ما كنت سأفعله لو كنت نشرت هذه الكلمات في مقدمة الكتاب ، بالمناسبة فكرت أن أضع لهذه الكلمات عنوان (مؤخرة) على عكس عنوان مقدمة طبعاً ، وهو العنوان الذي كان يختاره كتبه الناقد العقري الراحل سامي السلاموني ، لكنني وجده عنواناً مبتداً لا فاخترت عنواناً أكثر ابتدالاً هو (بين رجلي الكتاب). قال لي صاحبي وهو يحاورني: ألم تخجل من نفسك عندما تكبر لبنيتك وتقرأ الابتدال الذي تكتبه، قلت له : سأخجل من نفسي فعلاً لو فشلت في تربية ابني ومنعها من ممارسة عادة سيئة كالقراءة خربت بيت ابيها وجابت له وجمع الدماغ.

ظهرها اعتذاراً عمّا فعلته بها ، ولأن الطحالب من الحياة ، والأخياء أغبياء ، فهي تصدق لكنك صخر عليك أن تدرك أن تلك الوداعه والحنان سينقلبان عن قريب عاجل غدراً عاصفاً لا يرحم ، عندها ستكون وحدك المتأهب المستيقظ - والتعبير هنا مجازى فالصخور شامخه شموخ الموت لأشموخ اليقظه، من فوق صخره ستائلى ستجد وأنت تتفرس في وجوه من حولك زملاء لك "صخريين" جاءوا هنا يوماً "أزواجاً قبل ان يعودوا كما خلقهم الله أول مره "فردان" أو قل إن شئت الدقه جاءوا وهم "طحالب" قبل أن يتحولوا إلى "صخور" بــ المناسبه المحبوبات يتحولن أيضاً إلى صخور ، لكن يتم معالجتهم كيميائياً ليصبحن قطعاً من "الميراميـك" الاستيلو بشدید اللام، ليزین الشقق الفاخرة من غير تشديد اللام. من (داخل) صخرتك المنعزله ستسمع أصداء ضحك العشاق الماتصـقين وهم يضحكون على "المجنون الذي لا يخاف الموج والبرد ويجلس ليغنى وحيداً فوق تلك الصخرة" ، وسترى لهم أنهم لا يعرفون من تكون ، وستعجب من حال الدنيا التي صفق أهلها يوماً عندما اكتشف أحدهم سر تحويل الصخور إلى ذهب ، وأنت لا يصفق لك أحد وأنت مكتشف سر تحويل القلوب إلى صخور .

صحفية وكلمات مختصرة لكي لا يبذل الكتاب والصحفيين مجاهدا في إعداد مواد عنها للنشر بل يقومون بنشر ما يصلهم مع هذه الكتب، وعندما استكترت مثل ذلك مايفعله هؤلاء وجدت ردهم منطبقاً إذ قالوا أنهم كتاب يواجهون أزمة عدم قيام الكتاب والصحفيين بقراءة الكتب التي ترسل لهم لأنهم بدورهم يعانون من أزمات في الحياة تجعل القراءة آخر مل يمكن أن يقوموا به، وبالتالي فإن الصحفي أو الكاتب يظلم كتبهم بركتها على مكتبه حتى يجد وقتاً لقراءتها وكتابه عرض صحفي عنها، ولذلك فإن مايفعله الكاتب بعمل عرض عن كتابه يقدم به خدمة لكتابه ويساعد على وصوله إلى القاريء، أي أن الكاتب يلعب في نفس الوقت دور الناقد ودور الصحفي وأحياناً دور القاريء، ليس هذا يحدث الآن فلماذا تستكثر على صديقك أن يقدم نفسه لقراء، ليس هو الأولى بلح قرائه، ثم لماذا يورط معه شخصية عامة لنقدمه للناس وتتجمله دون أن تقرأ قصصه لمشغولياتها المتعددة فتنصب لعنات القاريء عليها إذا لم تعجبه القصص وهو احتمال قائم إذا كان قارئاً لايفهم وليس عنده نظر ولا ينذوق الأدب الرفيع، من الأولى أن تنصب عليه هو اللعنات لأنه شال اللبلة كلها، ثم قل لي ما الذي سيقوله من يقدموني لقراء، هل سيقول لهم أنتي مفاجأة وأنه لم يكن يتوقع أن أصل في

قال لي صاحبي وهو يحاورني: جرت العادة أن يلجأ من أدركتهم حرفة الأدب في أعمالهم الأولى إلى كبار النقاد والكتاب ليقدموا أعمالهم إلى القراء ويزكوها لهم بأن يكتبوا عنها دراسة تبين مواطن الجمال فيها ونصف مدى انبهارهم واستمتاعهم بما قرأوه وأملهم في أن يشاركم الفاري بهذا الانبهار وذياك الاستمتاع، قلت له: أنتي فكرت في ذلك فعلاً وكان لدى أكثر من إسم آخره لمثل هذا الغرض لكنني اكتشفت أنه لن يستطيع أحد أن يجاملي مثلني وإن لم يستطع أحد أن يصف للأقارئ مدى انبهاره واستمتاعه بماكتبه سوائي، وإن أقدر من غيري على عمل دراسة تبين مواطن الجمال بل ومواطن القبح في ما أكتب، ولو لا أنتي مشغول بدفع هذا العمل إلى المطبعة لكنت عنه دراسة ضافية تضعه في مكانه الصحيح في حركة الأدب العالمي وهي حركة فرعية في أيامنا هذه، فلما تنتج عملاً كالذي بين يديك أو فوق رجليك الآن.

قال لي صاحبي وهو يحاورني: هل جئت وأخذ بك الهزل مداءً لتقول كلاماً تافهاً كهذا، قلت له: لست بالهازل ولا المجنون، فماأنا إلا نتاج لعصرى وتقاليده، وفي عصرى هذا رأيت كتاباً يشار لهم بالبنان – بينما كتبهم تستحق أن يشار لها بالوسطى – يكتبون كتاباً رديئة ويقومون باهدانها للصحفيين والكتاب مشفوعة بعرض

لأولاده لكي يقولوا يوماً "أبونا كان مثقف وكان عنده دلاب مليان كتب".

قال لي صاحبي وهو يحاورني: سبيك من الهرار وقل لي لأي قارئ تحلم أن يصل مانكتبه؟ قلت له: أنا على عكس كثيرين من الكتاب أعرف فارئي جيدا لأن القارئ الذي أتوجه إليه قارئ شبهي، يحب اللذك ويعشق الاستطراد، ليس لديه ما يخسره وليس عنده ما يكسبه، يعيش البداءة ويكره تربية أولاده عليها، متناقض متذايق لا يغسل يديه قبل الأكل بل بعده فقط، يؤجل الذهاب إلى الطبيب إلا عند فوات الأوان، يحب تقلب المواقع على نفسه ويموت في السخرية من نفسه الأمارة بالحزن، لا يحب فراءة الدراسات النقدية ولا الأعمال الأولى للكتاب، ويفضل مشاهدة فيلم جيد على فراءة كتاب غير مضمون المستوى، قارئ يحب الكتاب الذين يضعون في كتابهم صفحات كثيرة تعرفهم بالكاتب وتستعرض إنجازات الكاتب ومناصبه واسهاماته في الحياة حتى يحسوا أنهم لم يأخذوا مقلبا عندما اشتروا كتابا كهذا، ولذلك سأفعل هذا في كتابي هذا وأسأ تعرض كل عضلاتي على القراء وسأكتب لهم صفحات مطولة عن مشواري الحافل في الحياة وأشعرهم بأنني أحسن منهم بألف مرة وأنهم لابد أن ينسحقو

كتابتي إلى هذا المستوى المعجز في الكتابة، طيب أستطيع أنا أن أقول هذا دون أن يشنبلني أحد جميلا، هل سيقول أن دلالات النص عدي تصل إلى مستوى من البيوريتانية لم ينكرر كثيرا في السرد العربي لعدوبة النص وشفافيته وقدرته على دمج اليومي بالسنوي بالموروث الحكائي، أستطيع أن أخط لك دراسة مليئة بهذا الهرز الذي يملأ مقدمات الكتب العربية كل يوم لكنني لأنوجه إلى قارئ يهتم بكلام من هذا النوع.

قال لي صاحبي وهو يحاورني: إذن إلى أي قارئ تتجه؟، قلت له: إلى أي قارئ يستطيع دفع ثمن هذا الكتاب بدلا من أن يشتري به شيئا ينفعه أكثر، أو ربما لأنه لن يستطيع بثمن هذا الكتاب شراء شيء ينفعه أكثر، فلن يستطيع بثمنه سوى أن يشتري سندوش شاورمة ونصف - كومبو - ولن يشع من ذلك ، ولن يستطيع قطع ذكرة سينما في دار عرض محترمة، ولن يستطيع الجلوس في كوفي شوب محترم، ولن يستطيعقضاء ساعة حرام مع بائعة هوى محترمة، ولن يستطيع شراء كتاب لمحمد حسنين هيكل أو ديوان محمود درويش أو رواية لماركيز، ولن يستطيع شراء تي شيرت شيك إلا من وكالة البلح، وبالتالي فشراء هذا الكتاب أجدى وأهدى سبيلا، على الأقل اسمه اشتري شيئا يورثه

ال حقيقي يحرق في الكتابة حرقاً لأنّه لا تقوّم به سيدة تعرّض ولأنّها وأن عملية الكتابة مؤلمة ومؤرفة وليس بها أي قدر من السعادة ولا يمكن أن يكون هناك من يكتب وهو سعيد بأنه يكتب إلا إذا كان كاتباً تافهاً لاقية لما يكتبه، وأنت تعرف أن الكتابة لا تغير الحياة لأن الكتابة شغالة على ودنه من يوم بدء الحياة والحياة لا تغير إلى الأسوأ، إذن عليك أن تحترم شجاعتي حتى لو لم تعجبك.

عدوي القاري .. أخاطبك هكذا بصرامة لأنني لا أحتاج لتفاوك كما يفعل الكتاب الذين يخاطبونك كثيراً وزوراً بقولهم "عزيزي القاري"، ولست أصفك بالعدو لأنني أحمق أو غاوي جرّ شكل بل لأنني أجده هذا التوصيف المنطقي والسليم الذي تفرضه العلاقة بين الكاتب والقارئ، فلو كان القاري عزيزاً لما تشوّق الكاتب لمعرفة رد فعله على ما يكتب ولما عاش كل هذا الخوف والقلق وهو ينتظر ردود الأفعال على عمله، هذا الخوف وذلك القلق وذاك الترقب لا يصدرون عن الإنسان الطبيعي إلا وهو يتأنّب لمواجهة عدو يخافه ويرهبه ويتأهّب للقاء، سيقول لي قائل لكن الإنسان يشعر بهذه المشاعر وهو يتأنّب للقاء حبيبه، وسيطرن أنه غلبني بهذه الحجة التي تبدو منطقية، لكن ردي بسيط: ومن قال

أمامي وهم يقرأون لي فيعتبروا كل مأكّتبه تحفة أدبية لأنّها صدرت عن شخص قام بأشياء لا يقدرون على القيام بها، هذا يا صديقي هو القاري الذي أتعنى الوصول إليه وإذا نجحت في الوصول إليه فلتطلب أطبّ فشلاً أكبر من هذا.

قال لي صاحبي وهو يحاورني: لماذا تكتب؟، قلت له : لأنّه فشلوا في تعليمي صنعة أخرى تدر دخلاً أكبر ولأنّ مجموعي لم يؤهلي لدراسة هندسة البترول. قال لي: هذه إجابة عبئية لا تتصور أنها مضحكة، قلت له: وهذا هي الحياة أيضاً فلماذا أنت زعلان. هل تريدينني أن أقول لك أنت أكتب لأن الكتابة هي البديل عن الجنون، ولأن الكتابة هي السبيل الوحيد للاستمرار في الحياة، ولأن الكتابة تصيب المرء بالسعادة، ولأن الكتابة هي التي تغير الحياة، وما إلى ذلك من الكلام الكبير الذي يقوله الكتاب عن كتابتهم، من الممكن أن أريحك لكنني لا أحب أن أغشك ولذلك قلت لك الحقيقة، فأنت تعرف أنّ أغلب الكتاب غير أسواء عقلياً ونفسياً أي أن الكتابة ليست بديلاً عن الجنون بقدر ما هي سبيل إلى الجنون، وأنت تعرف أن الكاتب لا يموت عندما يتوقف عن الكتابة بل يموت عندما تخبطه عربية أو تقع به بلكونة أو يأكل أكل السوق يعني باختصار عندما يجيئ أجله، وأنت تعرف أن الكاتب

ملعون أبو دول على أبو دول سأنشر ماكتبه وخلاصه والذى يحصل يحصل.

سأسألني أين ذهب صاحبك الذي يحاورك، سأقول لك أنه دخل إلى دورة المياه وعاد ليسألني: لكن القصص التي تنشرها هنا غير متجلسة في نوعها بل من الممكن اعتبارها خليطاً متافراً بعض الشيء، قلت له: كل مايهمنى أنتي أعتقد في داخلها أنها قصص لأن القصة في تعريف الأهل المتواضع هي أن تحكي حكاية ما بالأسلوب فنني – ألم أقل لك أنه تعريف أهل – فإذا قرأ القارئ قصة ما في هذا الكتاب وأحس أنها فعلاً قصة مثلما أحسست أنا فله جزيل الشكر والتقدير، أما إذا رأى غير ذلك فعذراً سأفعل له، نصبيه بقى، من حقه أن يقوم بإرجاع الكتاب إلى البائع فائلاً له أنه لقى جواه قصتين أو ثلاثة هم مش قصتين أو ثلاثة، وسأترك حقي في الرد عليه لعزيزى البائع.

منذ سنوات بعيدة وأنا أتمنى أن أمتلك شجاعة صاحب محل كشري في شارع حسين حجازي المتفرع من شارع القصر العيني والائن وراء مجلس الوزراء خطط لزق، وجد الرجل نفسه وقد وقع محله بين داري نشر علقت إحداها لافتة كتب عليها دار الإعتسام للنشر والتوزيع وعلقت الدار الأخرى لافتة كتب عليها

لك إن الحبيب ليس هو الآخر عدواً، لا يأكل الروح ويحتل الوجدان ويشغل البال ويخلط الحياة ويحب عالي النفس واطيها، وهل يفعل العدو ما هو أكثر من ذلك. أرجع مرجوعي لأقول لك أنتي أسف على كل الكلام الذي قلته آفأ عزيزي وحبيبي القارئ فأنا بجد مشوق لمعرفة رأيك في ماكتبه ونفسى بجد أن يكون قد أعجبك وأن أكون قد رسمت شيئاً ما على أي حنة لديك فكما تعلم ليس لي بركة إلا أنت و تستطيع أن تعتبر كل الكلام السابق الذي يفتقر إلى الذوق وللإيلاق مجرد تخريفه أنت أوسع من أن تكون ضيقاً وتقف عندها طويلاً.

ولأنني من زمان أحلم باستخدام تعبير كنت أفرؤه كثيراً هو تعبير "بين صفتني الكتاب" فانتي أحب أن أقول لك أن كل ماتفترؤه بين صفتني هذا الكتاب تهيب نشره طويلاً ربما لأنني كنت أعاني خلال عملي بالصحافة من عقدة نظر القراء وخصوصاً المتفقين منهم إلى الصحفيين بأنهم يحاولون أن يضعوا على كتفهم شريطة بكتابية الأدب أو مايعتقدون أنه الأدب، ثم عندما تركت الصحافة وعملت في السينما صارت العقدة بشريطة فكتاب السيناريو ينظر إليهم دائمًا على أنهم يحاولون كتابة الأدب لأنهم في داخلهم لا يكnoon الإحترام الكافي لمهنتهم، وبعد تردد طويل قلت لنفسي

لكي تكون واضحين معاً منذ البداية أؤكد لك عزيزي وحبيب قلبي القارئ باشا أنتي لا أضمن لك شيئاً إذا فرأت هذه المجموعة، كان بودي أن أقول لك أن هذه المجموعة ستُصيبك بالسعادة أو بالنشوة أو بالبهجة، فما يدريني أنك كثيّب المزاج أو سوداوي المشاعر أو سيكوباتي النزعة، فما سيخرج عن فراءتك لهذه المجموعة يتوقف عليك أولاً، هل أنت ابن حلال وعاليز تبسيط، هل أنت ابن ... حلال برضه وعاليز تطلع القطط الفطسه فيما تقرأه لكي تشعر أنك أفضل من الكاتب وأن الشيئ الوحيد الذي ينقصك لكي تكون كاتباً هو أن تكون فاضياً زعيماً الكاتب الذي خدمته الظروف ووجد وقتاً للكتابة.

ما أضمنه لك هنا هو أنني بذلك مجهوداً كبيراً في كل ما كتبته، ترددت ألف مرة قبل أن أنشره، ولعلك تلاحظ أن أغلب القصص مر على كتابتها رديح من الزمن حاولت خلاله أن أعيد كتابة أغلبها وأن أمزق بعضها وأن أتخذ قراراً بعدم كتابة هذه السطور وأن أتوقف عن نشرها بالمرة لكن أهوه آدي اللي صار وأدي اللي كان. وها هي المجموعة بين يديك الكريمتين وهالآن ذا انتظر رأيك الكريم بفارغ الصبر، شوف حكمة ربنا لما يحوج الإنسان للإنسان. على أي حال أريدك عزيزي القارئ أن تدرك جيداً أنني

دار الفكر للنشر، فقام بائع الكشري بتعليق لافتة على محله كتب عليها (دار البرنس للمكرونة)، متنهي النفة بالنفس والفخر بما يقدمه وعدم الإنسحاق المكروني أمام الكتب والنشر والثقافة. هل فهمت ماقصده عزيزي القارئ، لو لم تفهم فليس ذلك مهمًا لأنني نفسي لست متأكداً ما إذا كان هذا الإشهاد له علاقة أساساً بما نرغبي فيه الآن سوياً. لكن على أي حال أتمنى أن تكون فراءة ماكتبتك هنا أو بعضه على الأقل لذيذة بالنسبة لك كلذة طبق كشري بالكبدة خالي العدس ورد زيادة دقة زيادة من عند كشري الصاروخ في محطة مصر بالإسكندرية أتمنى أن تكون قد أتيحت لك الفرصة بزيارة.

قال لي صاحبي وهو يحاورني: لعل أسف مافعلته في مجموعةتك هذه هو إصرارك على نشر هذه السطور في نهايتها، طلبت منه أن يذكر ماقلته له في بداية حوارنا وهو ما للن أعيد له ولك ثانية، وقلت له أنني أعتقد أن هذا رأيه الشخصي الذي لا يعنيني لأنني أعرف أن هناك آخرين يعتقدون الآن أن أسف مافعلته في مجموعةتك هذه هو نشي لها، ولعل أخشى مأخذاته هو أن أشاطرهم يوماً ما هذا الرأي.

بمراجعة نفسك وإعادة قراءة المجموعة مرة أخرى لكي تجد فيها ما يعجبك ويحلل ثمنها فأنما وأنت نعلم أن الإنسان حيوان تبريري بطبيعة وهو يبرر لنفسه دائمًا وقوعه في مطب قراءة الأعمال الرديئة ومشاهدة الأفلام البشعة بأنه لابد من خوض مثل هذه التجارب لكي يكون الإنسان مطينا على كل شيء حوله، وإذا كنت عزيزى القارئ من هذا النوع الذي يشبهنى فقد أرحت ضميري بل إنك أثبتت صدرى كمان لأننى أصبحت متاكداً أنك ستشتري مجموعتى التالية أيا كان رأيك في الأولى فأنت من يطلق عليه الكتاب والناشرون عادة لفظ "ربون" فأهلا بك وسهلا. أما إذا كنت قد وصلت إلى رأى قاطع وحاسم بأننى كاتب حقير لا يستحق أن تقرأ له عملاً آخر فدعني أقول لك الآن وقبل أن يتم نشر مجموعتى التالية لأننى لم أكتبها بعد أنك أضعت فرصة طيبة على نفسك بسبب قرارك العينى، لأننى متاكدة تمام التأكيد أن مجموعتى التالية ستكون أفضل من مجموعتى هذه، لاتسألنى لماذا أنا متاكدة فالامر يطول شرحه أو بمعنى أصح لا يمكن شرحه، عليك أن تقبله أو ترفضه، إذا قبلته فأنت الكسبان وإذا رفضته فالحق مثلك، الحق عليا إنى عملت عقلي بعقلك وكتبت لك كتاباً مثل هذا وهالنت طلعت من اللي ما بيطرمش فيهم، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

أنتظر رأيك لمجرد العلم بالشيء ولأن عملي في كل من الصحافة ثم في السينما أكسبنى خصلة شديدة السوء هي الحرص على معرفة رأي القارئ أو المشاهد، وإذا كان ذلك ضرورياً وصحيحاً في كل من المجالين خاصةً أنك تقضي أجرك من جيب القارئ أو المشاهد ولذاك فنجاحك متوقف على رأي سعادته. لكن هذه المرة الأمر مختلف لأن الكتاب زيه زي البطيخة قد تصيب في قرار شرائه وقد تخيب، وفي كلا الحالتين تكون قد اشتريته أو بمعنى أصح شربته. على العموم أنا مواطن صالح مثلك في محصلة الأمر وأعلم جيداً أن الجنيه أصبح عزيز قوى لذلك فأنا أتمنى لك من كل قلبي أن تشعر بأنك أصبت، على الأقل لنأشعر بالذنب تجاه أولادك وأهل بيتك أو حتى تجاهك إذا كنت سيني الحظ ولم تستزوج أو تت捷ب. أما إذا شعرت أنك أخطأت فأرجوك لاتتهمي بالغش لأننى على حد علمي وفي حدود ما قرأت أعتقد أننى الكاتب الوحيد الذى امتلك ما يمكن أن تسميه الشجاعة – أو الواقحة لو أحبببت – التي جعلته يصارع قارنه إلى هذا الحد بأنه لا يضمن له نتيجة ما يقرأه وأن الأمر فيه مخاطرة عليه أن يفكر فيها جيداً، يعني أنا عملت اللي عليا وعداني العيب وقزح. على أي حال أعتقد أنك إذا وصلت إلى إحساس خيبة الأمل فإنك ستقوم

ثم يعمل فترة في العديد من القنوات القضائية وعلى رأسها قناتي (art-mbc) ثم عمل في عام ٢٠٠٠ محررا عاماً لجريدة القاهرة لمدة أربع شهور بس استقال بعدها بعد خلافات مع الكاتب التقدمي صلاح عيسى، وبعد فترة من البطالة ترك العمل في الصحافة غير آسف عليها وعمل لمدة عام ككاتب مدير مكتب تلفزيون الشرق الأوسط بالقاهرة ثم استقال بعدها في أكتوبر ٢٠٠٢ ليعود إلى البطالة بمحض إرادته ويفرغ لكتابة السيناريوهات السينمائية عائداً إلى حلمه القديم بالكتابة في السينما، ومقرراً أن يعيش إلى الأبد كاتباً على باب الله يأكل من عرق المواطن الذي يدخل له فيلماً أو يشتري له كتاباً.

— له حق الآن خمسة أفلام سينمائية هي: حرامية في كي جي تو — حالتي فرنسا — الباشا تلميذ — صابع بحر — أبو علي.

— نكون مؤخراً من شراء جميع الكماليات بما فيها الكيشن ماشين وكاميرا الفيديو لكنه لا يمتلك شقة حتى الآن.

— خواة الأبراج الكاتب من برج العذراء أو التي تقول عن نفسها أنها عذراء لأنه لم يعد شيء مضموناً في هذا الزمن.

تعريف بالكاتب .. قراءته اختياري مش إجاري:

## من باب الفشخة

— ولد بالقاهرة في عام ٧٤ في حي منشية البكري  
— نشا وترعرع في أسرة مفككة وعاش طفولة حفيرة ومراءحة ضائعة ولا يفهم حتى الآن كيف خرج منهما على خير  
— جاب اتنين وثمانين في المية في الثانوية العامة .. علمي هه  
— تخرج من كلية الإعلام جامعة القاهرة قسم الصحافة وكان الأول على الدفعة .. واحد في ذلك .. لكنه لم يلتحق بالسلك الجامعي والحمد لله  
— عمل لفترة عام في مجلة روز اليوسف ثم حصل على فرصة ذهبية أعطاها له مشكوراً مأجوراً الكاتب الشاب اللامع الموهوب إبراهيم عيسى عندما عينه سكرتيراً لتحرير جريدة الدستور وهو لم يتجاوز العشرين من عمره وعمل فيها حتى تعطيل صدورها في عام ٩٨، وبعد فترة من البطالة قام بالكتابة في عدة مجلات وصحف منها المصور والكوناكب وصباح الخبر والهلال ووجهات نظر والإتحاد الإماراتية والشرق الأوسط والوسط وها والأسبوع والعربي وأشياء من هذا القبيل وخلافه، في عام ٩٩ عمل مديرًا لتحرير جريدة الجليل القاهرة التي كانت تجربة صحفية واعدة لكن أهواه اللي حصل، المهم أنه ترکها بعد فترة أربعة أشهر بسبب خلافات مع الناشر ليعود إلى البطالة ثانية

عزيزتى حوليا روبرتس

أنا حزين يا جوليا .. لأننى ضائع مثلك .. أو هكذا  
أتخيلك .. وأنت تبحشين عن الحب فى أحضان كifer  
ساذريلاند وجاسون باتريك وليل لافيت وبنجامين بران  
- أرأيت .. كيف أحفظ أسماء عشاقك الذين ولا تغضى  
منى لن يكون بنجامين آخرهم لأنك لست مقسمة أبداً  
لرجل واحد .. العدل أن تقللى بين أحضان رجال الأرض  
جميعاً ليتأل كل منهم حظه من السعادة الحقيقية .. أما  
أنا فالعدل أن أتقلب بين أحضان المقاهى المسكونة  
بالكراء والشوارع المزروعة حفراً ومطبات وذكريات  
مشى مع المحبوب والأصدقاء المهزومين المديونين

المسوخى الأرواح والصحف المصادرية

والمرآبة والمرخية والبنات اللعبات فى التلفون

فقط الحالات على الشرف والراغبات فى الستر

والبلاد التى لا أفهم حتى الآن كيف نحبها كل هذا الحب

أو ربما نتصور إننا نحبها كل هذا الحب .



Mico Mark ميريت